القصص
الشعبى
العربى
فى كتب التراث
د./ مرسى الصباغ
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع
ت : ٥٣٥٤٤٣٨ /٠٣ اسكندرية

القصص الشعبى العربى

الناشـــــر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

العنـــــوان: بلوك ٣ ش ملك حفنى قبلى السكة الحديد - مساكن درباله - فيكتوريا - الإسكندرية.

تليفـــاكس: ٥٢٧٤٤٣٨/ ٠٠٢٠٣ (٢ خط) - موبايل/ ٠١٠١٢٩٣٢٣٣

الرقم البريدى: ٢١٤١١ - الإسكندرية - جمهورية مصر العربية.

E- mail

dwdpress@yahoo.com

dwdpress@biznas.com

Websitc

http:/ www.dwdpress.com

عنوان الكتاب : القصص الشعبى العربى فى كتب التراث

المؤلــــــف: د. مرسى الصباغ

رقـم الإيـداع: ١٥٥٣٥ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولى: 1 - 021 - 327 - 977

القصص الشعبى العربى
فى كتب التراث

الدكتور
مرسى الصباغ
مدرس الأدب الشعبى العربى
جامعة قناة السويس

الطبعة الأولى
٢٠٠٦م

الناشر
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس : ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية

إهـــــداء

إلى أبى وأمى... براً ومـــــودة
وإلى زوجتى... العطاء بلا حدود

أهدى اليهم فاتحة كتبى العلمية،

مرسى

- مقدمة -

فى الماضى كان القصص الشعبى عنصراً أساسياً من عناصر التعليم..فهو بجانب دوره الترفيهى المهم وثراء مادته الفنية يقوم بدور أساسى فى نقل المعارف بطريق مباشر فى بعض الأحيان وبطريق غير مباشر فى أحيان أخرى..هذا بالإضافة إلى أنه دائماً ما يحرص على تأكيد قيم وأخلاقيات المجتمع..فيجد فيه المتلقى نماذجاً يحاكيها فى سلوكه اليومى ويتمثل فيها القدوة الحسنة والموعظة الطيبة التى تهديه سواء السبيل فى معاملاته مع غيره وتنظم له علاقاته مع كل ما يحوط حياته فى بيئته الاجتماعية والطبيعية.

وكتب التراث العربى ضمت بداخلها على امتدادها الزمانى والمكانى الطويل قصصاً شعبياً متنوعاً يضرب بجذوره إلى أعماق الفكر الإنساني لكنها وضعت على أرفف المكتبات وتوقفت دون تناول أو تحديث وذلك بسبب اختلاط المفاهيم ولأن النظرة إليه قامت على أساس غير عربى وبالتالى كانت النظرة مشوبة بالخلط والتشويش الأمر الذى باعد بين هذا القصص وبين الواقع المعاش ومن ثم كانت النظرة الحالية للقصص الشعبى إما نظرة غير عربية أو نظرة سطحية ليس لها أساس حضارى.

من هنا جاءت فكرة الدراسة ومن هنا أيضاً جاءت المعالجة المنهجية التى تناولت الحديث عن أجناس التعبير فى القصص الشعبى العربى وذلك من خلال التعريف بكل جنس على حدة مع بيان مدلولاته المتعددة وتحديد المجال الذى يدور فيه ثم تحديد أنواع الجنس الأدبى واتجاهات البحث فيه ثم تناول مدى وجودية هذا الجنس عند العرب من خلال الواقع الفعلى الموجود داخل كتب التراث.

وبعد..........

فهذه دراسة قمت بإعدادها بعد الرجوع إلى عدة مصادر أساسية من كتب التراث العربى الفعلية (لمؤلفين عرب سبقوا عصورهم بفكرهم الحضارى وتوجهاتهم الراقية) وضعتها فى اعتبارى مستعيناً بمصادر أخرى شاملة القرآن الكريم والمعاجم والقواميس والموسوعات الأدبية

والـــدواوين الشعرية بالإضافة إلى النصوص التراثية التى كانت بمثابة الدليل الـــعملى على صدق قولنا..ناهيك عــــن البحـــوث والدراســـات والدوريـــات والوثائق الأخرى التى إن دلت على شئ..فإنما تدل على أن الموروث العربى شغل عقول كثير من الباحثين بصورة تستحق الإشادة والتنويه.

هذا....والله من وراء القصد،

دكتور

مرسى الصباغ

الزقازيق فى ١٩٩٩/٩/٢

تمهيد:

بداية – وقبل الخوض فى ماهية القصص الشعبى – لابد و أن نفهم أولاً..ماذا تعنى كلمة "شعبى":

إن كلمة "شعبى" مشتقة من كلمة "شعب"..جاء فى لسان العرب أن الشعب هو ما تَشعَّبَ من قبائل العرب..والشعب: القبائل..وحكى ابن الكلبى عن أبيه..الشعبُ أكبرُ من القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ..قال الشيخ ابن برى..الصحيح فى هذا ما رتبه الزبير بن بكار وهو الشعبُ ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة..قال أبو أسامة: هذه الطبقات على ترتيب خلق الإنسان..فالشعب أعظمها مشتق من شعب الرأس ثم القبيلة من قبيلة الرأس لاجتماعها ثم العمارة وهى الصدر ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهى الساق(١).

إذاً فالشعب هو مجموعة من الناس تختلف طوائفهم وطبقاتهم مجتمعين أو مفترقين..وبما أن الشعب هو القبيلة العظيمة أو مجموعة من القبائل وبما أنه أكبر هذه الأقسام السابقة إذاً فهو كما فى مدلول كلمة "تشعَّب" أى تفرق وتباعد وانتشر وتوزع نجد أن أول معانى الشعبية هو "الانتشار".

وبما أن الشعوب تمتد فى تاريخها إلى جذور عميقة متناهية فى القدم لذا فإن المعنى الثانى للشعبية هو "الخلود".

ومن ثم فإن كلمة "شعبى" عندما نطلقها على أى شئ لابد وأن يتسم هذا الشئ بالانتشار أولاً ثم الخلود ثانياً..أى الانتشار والتوزع والتباعد المكانى والزمانى..

وعليه، فإن أى جنس أدبى أو فنى عندما نحاول معرفة ماهيته لابد وأن نضع فى اعتبارنا هذين الملمحين (الانتشار والخلود) أو بمعنى آخر (التراثية والتداول) (٢)..هذان هما الأساسان اللذان عليهما يقوم مفهوم الفنون الشعبية بصفة عامة سواء كانت مأثورات أم تراث، أى أن

"الفولكلور" لابد وأن يحكم بهذين الملمحين سواء فى اللغة أو المضمون أو أى شئ آخر مثل العادات والتقاليد أو المعتقدات أو المعارف أو الثقافات المادية..الخ.

ماهية القصص فى إطار التراثية والتداول...."القصص الشعبى":

- أولا ما هى أجناس التعبير فى القصص الشعبى؟

سؤال يتردد كثيراً بين أوساط المثقفين عندما يتناولون أى نوع من القصص الشعبى، لكن الإجابة عليه يمكن أن تبدأ..خاصة..عندما نستنطق المعاجم اللغوية فى معنى كلمة "قص"، وكلمة "حكى"....فقص من (تقَصَّصَ الخبر..أى تتبعه..والقصة: الأمر والحديث..واقتصصت الحديث..أى..رويته على وجهه، وقص عليه الخبر قصاً..وفى الحديث الرؤيا لا تقصها إلا على واد..يقال قصصت رؤيا على فلان إذا أخبرته بها..أقصه قصاً.

والقَّصُ..البيانُ..والقَصَص بالفتح الاسمُ..والقاصُ الذى يأتى بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها..وفى الحديث لا يقصُ إلا أميُر أو مأمورُ أو مختالُ..أى لا ينبغى ذلك إلا لأمير يعظُ الناسَ ليخبرهم بما مضى ليعتبروا وإما مأمورُ بذلك فيكون حكمُه حكم الأمير، ولا يقُص مكتسباً أو يكون القاص مختالاً بفعل ذلك تكبراً على الناس أو مرئياً يرائى الناسِ بقوله وعمله، ولا يكون وعظُه وكلامُه حقيقة..وفى الحديث (القاصُ ينتظُر المقت) لما يعرض فى قصصه من الزيادة والنقصان؛ ومنه الحديث أن بنى إسرائيل لما قصّوا هلكوا..وفى رواية..لما هلكوا قصوا..أى اتكلوا على القول وتركوا العمل فكان ذلك بسبب هلاكهم أو العكس لما هلكوا بترك العمل أخلدوا إلى القصص، وقص آثارهم يقصها قصصاً وقَصاً[٣].

أما لفظ (حكى) فهو مأخوذ من المحاكاة أى التقليد كقولك (حكيت فلاناً وحاكيته..أى فعلت مثل فعله سواء لم أجاوزه. وحكيت عنه الحديث حكاية ابن سيده، وحكوت عنه حديثاً فى معنى حكيته. وفى الحديث ما سرنى أنى حكيت إنساناً وأن لى كذا وكذا أى فعلت مثل فعله. يقال حكاه وحاكاه)[٤].

ومن هنا يتضح لنا أن القص يختلف عن المحاكاة...بمعنى أن القصص من التتبع والحكاية من التقليد..(والتتبع من قص الأثر وهو أصل مصطلح قصة وحكى أى قلد طبق الأصل..ومن المشهور أن يقال حتى عند

التدوين أنه سجل الخبر بنفسه.... ثم تطور المصطلح وتنوعت أجناس التعبير فيه حتى تداخلت المحاكاة مع الخبر والسرد والقصص وارتبطت الحكاية بعد ذلك بأنواع من السرد تبعد عن الصدق التاريخى فى بعض الأحيان وتقوم بوظيفة التسلية والترفيه فى أحيان أخرى) (٥).

إذا فالحكاية جنس فرعى من أجناس التعبير فى القصص الشعبى وليست هى الأصل.

لكن ما هى أجناس التعبير فى القصص الشعبى العربى؟

بالرجوع إلى مختلف الدراسات التى طبقت فى هذا المجال يمكن حصر أجناس التعبير فى القصص الشعبى الى ما يلى:-

١- الأساطير.
٢- الملاحم.
٣- السير.
٤- الحكايات الشعبية:-
أ- من حيث الموضوع.
ب- من حيث الهدف.

فمن حيث الموضوع: نجدها تشتمل على:-

أ- حكايات الحيوان الخرافية.
ب- حكايات الجان.
ج- حكايات الخوارق.
د- الحكايات التنبوئية.
هـ- القصص الدينى.
و- القصص الاجتماعى.
ز- حكايات البحر.
ح- حكايات العشق.
ط- حكايات الكيد والمجون.
ى- حكايات البطولة والتاريخ.
ك- حكايات المرح.
ل- حكايات الأمثال.

أما من حيث الهدف فتنقسم الحكايات الشعبية إلى:-

أ- حكايات للتسلية والترفيه.
ب- حكايات للمعرفة.
جـ- حكايات تهذيبية.

البـــــاب الأول

الأساطير والملاحم والسير الشعبية

الفصل الأول: الأساطير

بداية مفرد "أساطير" أسطورة مثـــل أحـــاديث وأحدوثـــة وأكـــاذيب وأكذوبة..وكلمة أسطورة فى اللغة تعنى كل ما يُخَط ويُســـطَر مــن أبـــاطيل وأحاديث عجيبة..وقد ورد فى المعاجم اللغوية (السطرْ والسَّطرْ: الصف مـــن الكتاب والشجر والنخل ونحوها يقال بنى سطراً وغرس سطراً، والسطر الخط والكتابة قال الزجاج فى قوله تعالى: "**وقالوا أساطير الأولين**" خـــبر لابتـــداء محذوف المعنى وقالوا الذى جاء به أساطير الأولين معناه ســـطره الأولـــون، وواحـــد الأساطير أسطورة كما قالوا أحدوثة وأحاديث وســـــطر يســـطر إذا كتب. قال الله تعالى فى كتابه العزيز، "**والقلم وما يسطرون**" "**أى وما تكتـــب الملائكة وُقد سطر الكتاب بسطره سطراً وسطره وأسطره**" قال أبـــو ســـعيد الضرير سمعت أعرابياً فصيحاً يقول أسطر فلان أسمى أى تجـــاوز الســـطر الذى فيه أسمى فإذا كتبه قيل سطره ويقال سطر فلان فلاناً بالسيف سطراً إذا قطعه به كأنه سطر مسطور.

وقال ابن بزرج يقولون للرجل اذا أخطأ فكفوا عن خطئـــه..اســـطر فلان اليوم وهو الاسطار بمعنى الأخطاء قال الأزهرى هو ما حكاه الضريـــر عن الأعرابى..اسطر أسمى أى جاوز السطر الذى فيه..والأساطير: الأباطيل والأساطير أحاديث لا نظام لها واحدتها أسطار وأسطارة بالكســـر وأســـطير وأسطيرة وأسطور وأسطورة بالضم، قال قوم أساطير جمع أسطار وأســـطار جمع سطر.

قال أبو عبيدة جُمِع سَطرُ على أسطر ثم جُمِع أسطر على أســـاطير، ويقال سطر فلان علينا يُسطرُ إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل ويقال وهو يسطر مالا أصل له أى يؤلف..ويقال سطر فلان على فلان إذا زخرف له الأقـــاويل ونمقها وتلك الأقاويل الأساطير[٦].

أما فى الاصطلاح فقد تدل على أنها (محاولة لفهم الكون بظواهـــره الـــمتعددة أو هى تفسير له أو لأنها نتاج وليد الخيال ولكنـــها لا تخلـــو مـــن مـــنطق معين ومن فلسفة أولية..تطور عنها العلم والفلسفة فيما بعد..وعلـــى هذا فإن الأسطورة تتكون فى أول مراحلها عن طريق التأمل فـــى ظواهـــر الكون المتعددة..، والتأمل ينتج عنه التعجب كمـــا أن التعجـــب ينجـــم عنـــه التساؤل..فإذا تساءل الإنسان طلب الإجابة فى إصرار عن ســـؤاله حتـــى إذا

وجد الجواب قرت نفسه لأن الإجابة حينئذ تكون حاسمة بالنسبة إليه[٧] وبالتالى فإن كلمة أسطورة ترتبط ببدائية الإنسانية أو ببدائية البشر حيث كانوا يمارسون السحر ويؤدون طقوسهم الدينية التى كانت سعياً فكرياً لتفسير ظواهر الطبيعة[٨] لكن ليس معنى هذا أننا نضع تعريفاً للأسطورة لأنه {من العسير أن نضع تعريفاً للاسطورة يجتمع عليه رأى العلماء والمتخصصين ويكون فى الوقت نفسه مرضياً ومقنعاً لغير المتخصصين ذلك لأن الأسطورة واقع ثقافى ممعن التعقيد تختلف حوله وجهات النظر..وحسبنا هنا أن نورد هذا الوصف الذى يتسم بالشمول وهو أن الأسطورة تروى تاريخاً مقدساً وتسرد حدثاً وقع فى عصور ممعنة فى القدم..أو بعبارة أخرى..الأسطورة تحكى بوساطه أعمال كائنات خارقه كيف برزت إلى الوجود حقيقة واقعة وقد تكون كل الحقيقة أو كل الواقع مثل الكون أو العالم..وقد تكون جانباً من الحقيقة مثل جزيرة من الجزر أو فصيلة من النبات أو ضرباً من السلوك الإنسانى أو منظمة اجتماعية..إنها بهذا المعنى قصة وجود ما..فهى تروى كيف نشأ هذا الشئ أو ذلك وهى ترتبط بالواقع فى أولياته وأبطالها كائنات خارقة ويعرفون بما حققوا فى عصور التكوين[٩]. وعليه فالعلماء يذهبون مذاهب مختلفة فى تحديدهم لمدلول الأسطورة[١٠] الأمر الذى يجعلنا نقبلها أولا نقبلها فكلها أو بعضها صحيح من وجهة النظر التى تمثلها.

*** مجال الأسطورة:**

يقول د. عبد الحميد يونس فى معجم الفولكلور اذا أردنا أن نحدد مجال الأسطورة فإننا نشير إلى أنها حكاية اله أو شبه اله أو كائن خارق تفسر بمنطق الإنسان البدائى ظواهر الحياة والطبيعة والكون والنظام الاجتماعي وأوليات المعرفة، وهى تنزع فى تفسيرها إلى التشخيص المتمثل والتجسم وتنأى بجانبها عن التعليل والتحليل وتستوعب الكلمة والحركة والأشارة والإيقاع وقد تستوعب شكل المادة[١١].

و بالتالى فإن مجالها واسع ومتسع فى التشكيل والتكوين، ولذا فإن الشواهد الاسطورية على منهج التجسيم والتشخيص أكثر من أن تحصى فى كل طور من أطور حياة الإنسان إذا كان تفكيره كله أسطورياً أو خرافياً

ولذلك من الصعب أن نكتفى بمثلٍ أو مثلين، وحسبنا أن نشير إلى أن النتـــائج التى انتهى إليها علماء الإنسان القديم قد أثبتت بما لا يـــدع مجـــالاً للشـــك - حدود التفكير البدائى ونزوعه إلى العلل الغيبية، وما أكـــثر عـــرض هـــؤلاء العلماء للأمثلة التى تفسر الكهانة القديمة والسحر القديـــم وارتبـــاط مصـــير الإنسان البدائى بالأفلاك والأجرام[١٢] ومن هنا نرى أن الأسطورة تدور حول الدين وشبعائره والتاريخ وحوادثه والفلسفة ومجالاتها والكـــون جميعـــه عنـــد القدماء..انها فكرة بدوية تاريخية لونت بصبغة الأطناب والمغـــالاة لإظـــهار أهمية تلك الحادثة الحقيقيـــة فـــى عصـــر مضـــى وزال أثـــره مـــن ذهـــن الناس..والناس بالطبع يرغبون فى تكبير الصغير للإثارة وجذب الانتباه) [١٣].

* أنواع الأساطير:-

لما كانت الأسطورة هى صورة من صور الفكر البدائى عند الإنسان لذا نجده بعد أن ينظر إلى الكون الفسيح، الهائل العجيب يقـــف حـــائراً أمـــام أســـراره ليطرأ على تفكيره ما يحمله إلى عبادة كل شئ مخيف ومفيد..لـــذا فإن الأساطير التى جاء بها هذا الإنسان كانت مختلفة النماذج..وهى:

١- الأسطورة الكونية (الطقوسيه) [١٤]

وفيها يحكى الإنسان لنفسه قصة الظواهر الكونية فيتحدد علـــى أثـــر ذلك مفهومه بالنسبة للكون..ومن بين الظواهر الكونية التى شغلـــت الإنســـان بالتفكير ظاهرة الخصب والجدب. بحيث أصبح لكل شعـــب مـــن الشعـــوب أسطورة تحكى بشكل أو بآخر قصة الخصب والجدب كما ارتسمت فى مخيلة الإنسان القديم. وليست الحياة جدباً صرفاً كما أنها ليست خصباً صرفـــاً إنمـــا هى مزيج من الجدب والخصب، أو لنقل أن الخصب والجدب متعاقبان تعاقب الليل والنهار. وقد حكى الإنسان، قصة هذا التعاقب مجسدة فى شكل صـــراع بين إله الخير (اله الخصب)، إله الشر (اله الجدب) ومن أمثلة ذلك أســـطورة أوزوريس وإيزيس المصرية القديمة، (أدونيس وعشـــتروت) البابليـــة. هـــذا بالإضافة إلى أسطورة زواج الأرض والسماء..وغيرها.

٢- الأسطورة التعليلية:

هى محاولة لتفسير الأشياء بفكر بدائى..قد تكون هذه الأشياء المفسرة ظاهرة كونية أو ظاهرة غير كونيه..ومن مثل هذا النوع من الأساطير ظاهرة

ظهور الشمس بالنهار بدون نجوم وظهور القمر بالليل ومعه النجوم، وظاهرة توزيع الكائنات بين الأرض والبحر والفضاء،وظاهرة نظافة الإنسان في مظهره وقذراته في داخله..بالطبع كل هذه ظواهر فُسرت بعقلية قديمة تجاوزت المنطقية في تفسير الأشياء حديثاً.

٣- الأسطورة الحضارية:

وهى عبارة عن صراع الإنسان مع الطبيعة كمحاولة منه لإثبات الذات بغية الانتقال من مرحلة إلى مرحلة..ومن مثال ذلك {أسطورة اسديوال التى كانت موضوع دراسة مستفيضة من العالم الانثروبولوجى **(ليفي شتراوس)** وقد جمعت هذه الأسطورة حديثاً من الهنود التشيمسانين الذين يسكنون الساحل الشمالى الغربى للباسفيك جنوب آلاسكا مباشرة وهذه تدور حول اسديوال ومغامراته فى السماء والبحر والجبال من أجل العيش..فهو يتزوج ثلاث مرات ويفشل فيها جميعاً ويرجع فشله إلى عدم ارتياحه للإقامة مع زوجته فى مقامها الأصلي أو لأنه كان كثيراً ما يختلف مع اخوة الزوجة فقد تزوج فى بادئ الأمر من نجمة السماء التى استدرجته إلى مقامها فى السماء وفشل اسديوال فى هذا الزواج بسبب حنينه الدائم إلى عالم الأرض ثم تزوج بعد ذلك مرتين من امرأتين كانتا مرتبطتن بأخواتهما أى بأسرتهما، وثار اسديوال على الأخوة مرتين وكان هذا سبباً فى فشله فى الزواج وترك زوجته واصطحاب ابنه إلى مقره الأصلي فى الزواج الثانى وينتهي الأمر بفقد اسديوال لحياته) (١٥).

٤- أسطورة الرموز الشخصية:

وهى التي توظف الشخوص بدرجة ما على نحو رمزى ويمثل هذا النوع تلك الأساطير الأغريقيه المتأخرة..ومن بينها "أسطورة منيرفا" والتي تدور حول منيرفا الهة الحكمة اليونانية ووقوف الفتاة "**أراخنى**" فى مواجهتها بصورة تبرز اعتداد الإنسان بنفسه وبتمييز ما له وما للألة، فنشب الصراع مع الفتاة التي بلغت فى صناعة الغزل والنسيج حداً من الإتقان ورفض الإلهة منيرفا هذا التحدى لأنها هى المهيمنة على الفنون النفعية والجمالية....ولم يكن من السهل على الإنسان أن يتنازل عن هذا الحق بعد أن اثبت مضماره فيه(١٦).

٥- الأسطورة الاجتماعية:

وهي التي تلقي الضوء على حياة الأقدمين بكل ما فيها من عادات وتقاليد بدائية تسودها المغالاة ويوشحها التذويق ومن أمثلة ذلك ما يُروى عن حياة الجاهلين فى القدم وما ترسمه لنا عن حياة البدوى بما عنده من ذخائر فكرية استند فيها على واقع وخيال تصويري أعطى نفائس عظيمة وأفق محدود ماءه من البيئة الجاهلية الفطرية..فنجد السهدى والقلائد ونذر الأبناء للآلهة وغير ذلك[١٧].

اتجاهات البحث فى الأساطير:

لقد حظيت الأساطير باهتمامات كثير من الباحثين[١٨]..فالمترجمون فى أوائل النهضة نظروا إلى الأسطورة على أنها كل ما يناقض الواقع واستمر هذا التصور إلى أن جاء فلاسفة الإغريق واعترضوا على هذا المفهوم حيث كان رأيهم فيما جاء به "**هوميروس**" أنه عبارة عن تهاويل وخيال ووهم، وأبى "**اكزونوفون**" أن يقتنع بخلود الآلهة الذي قال به "**هوميروس، وهيسيود**".. وظلت الأساطير مع ذلك تستحوذ على اهتمام الصفوة من المفكرين فى جميع أنحاء العالم.

ففريق يرى أن أسماء الآلهة فى أساطير "**هوميروس**" إنما تدل على الملكات الإنسانية أو العناصر الطبيعية لكن جانباً آخر من المفكرين وجدوا فى الأساطير مجموعة رموز ومجازات لمعان وقوى ومثل..أما الآلهة عند أولئك وهؤلاء فما هى إلا تشخيص لمبادئ أخلاقية ونواميس طبيعية، ثم ظهر بعد ذلك اتجاه آخر يحتكم إلى العقل فى تفسير الأساطير حيث يذهب إلى أن الآلهة كانت فى أصلها طائفة من الملوك بلغت من القوة والتأثير شأواً عظيماً جعل الناس يتجاوزون بها عالم الواقع إلى عالم الخوارق ثم يؤلهونها، ولهذا الاتجاه أهميته..ذلك لأنه جعل للأساطير واقعاً تاريخياً، ولعل الأصح أن يقال أن الأساطير قد أصبح لها بفضل هذا الاتجاه واقع فيما قبل التاريخ، وأخذت الأساطير منذ ذاك تمثل الذاكرة الإنسانية عندما تستدعى مرحلة بليغة من بُعدها فى الزمان أن اكتنفها الغموض فى الزمان من كل جانب، وأعان ذلك الخيال على تصوير الملوك تصويراً خارقاً فى عصور سحيقة عليها

البداوة..وينسب هذا الرأى إلى "**يوهيميروس**" الذي مات فـــي أوائـــل القـــرن الرابع ق.م واشتهر هذا المذهب باسم "**اليوهميريـــــة**" euhemerism ويســـتطيع الباحث أن يقرر أن دراسة الأسطورة بالمنهج العلمي إنما بدأت على يد "**كارل أو تفرير مولر**" فى كتابه "**مقدمة فى دراسة الأسطورة**" الــذي صـــدر عـــام ١٨٢٥م.

بيد أن المباحث الجادة عن الأسطورة لم تنل حظها مـــن الذيـــوع إلا بفعل "**ماكس مولر**"– Maxmuller في النصـــف الثـــانى مـــن القـــرن التاســـع عشر....حيث يذهب إلى أن الأسطورة إنما نشأت نتيجة قصور فى اللغة، مما يـــؤدى إلى أن يكون للشئ الواحد أسماء متعددة كما أن الاسم الواحد كثيراً ما يطلق على أشياء مختلفة..ويرى "**مولر**" أن الآريين. أنشأوا مجـــامع آلهتـــهم حول الشمس والفجر والسماء.

وانتقد أندرولانج هذا المنهج الأسطورى الذي يرتكز حول الشمس فى تفسير الأساطير وأكد أن الأساطير لم تنشأ عن قصور فى اللغة ولكنها نشأت من تشخيص العناصر الكونية، وهو يرى أن النزوع إلى التشخيص مرحلـــــة من مراحل الفكر تتسم بالتجسيم وإسباغ الحياة على المحسوسات والكائنـــــات والظواهر، واستند "**اندرولانج**" فى نقده لنظرية "مولر" إلى المواد التى يعالجها علم الإنسان، وكان حديث الظهور وقتئذ، وكان جل اعتماده على رأى "**تيلور**" الذى يتلخص فى أن الاعتقاد بوجود الروح فى كل شئ كان بمثابة المرحلـــــة الأولى من مراحل الدين.

وفى أوائل القرن العشرين أحيا المفكرون الألمان المذهب الذى يفسر الأساطير بأنها أصداء الظواهر السماوية بصفة عامة وحركات الشمس والقمر بصفة خاصة.

أما المدرسة الانثروبولوجية الإنجليزية وعلى رأسها "**الســـــيرجيمس جورج فريزر**"، " وجين هاريون".. فقد حاولت تفسير أساطير اشلرق الأدنـــى وبلاد اليونان بمصطلحات الطقوس أسبق من الأسطورة فى الظهور، وتعـــد الأسطورة عند أصحاب هذا المذهب تفسيراً تمثيلياً للطقوس ويكـــاد العلمـــاء يجمعون الآن على وجود رابطة قوية بين الأساطير والطقوس.

هكذا كان الإطار العام للأسطورة...لكن ماذا عن الأسطورة عند العرب؟.

*** الأسطورة عند العرب:**

عندما نقلب صفحات المصادر العربية من كتب التاريخ العام وتقويم البلــــدان وعـــجائب المخلوقات نجد أخباراً لا تزال ملامحها حية فعالة فى المجتمع إلى اليوم. فمثلاً نجد بين ثنايا الكتب أساطير كثيرة مثل أسطورة "إساف وحبيبتـــه نائله"(١٩) وأسطورة النسر وقبيلة مراد(٢٠) وأسطورة نذر الأبناء للآلهة(٢١) هذا بالإضافة إلى أساطير الأولين التى تتحدث عن الزهرة وقصتها مع هـــاروت وماروت،وعن القمر والدبران والثريا وسهيل والجدى وعــــن خرافــة نــار الحرتين وقزح وأصنام عمرو بن لحى وعن عبادة البرق والجن والملائكــــة وعن سد مأرب والسيل وعن شق وسطيح وعفراء والشعناء(٢٢). وغير ذلك كثير مما لا يمكن حصره.

إلا أن الدكتورة/ نبيلة إبراهيم ترى (أن العرب لم يوجد لديهم نمــاذج أسطورية كاملة وبالتالى غابت الأسطورة العربية عن الأذهان) (٢٣) بينما يرى الدكتور/ عبد الحميد يونس (أنها موجودة ولكن فى السير الشعبيـــة حيــث أن السيرة ليست إلا مجموعة من بقايا الأساطير والشعـــائر التـــي ســـادت فـــى العصور القديمة) (٢٤) ونحن على الرغم من عدم خوضنا فى عصور ما قبـــل التاريخ التي تفصلنا عنها مئات الآلاف من السنيَن وظهور ألوان من الصـــور الـــكهفية لرسوم حيوانات ومظاهر طبيعية ذات مستوى جمالى رفيـــع فإننــا نرى أن حضارات "**عاد وثمود وطسم وجديث واميم وجاسم وعبيــد وعبـد ضخم وجرهم ودولة الأنباط وتدمر وزينوبيا والغساسنة وملـــوك الحـــيرة وعرب الصفا** وغيرهم" – ممن يشكلون الطبقة الأولى من طبقات العرب فى نـــظر {الاخبارين}(٢٥) سبقتها حياة الفطرة والسذاجة الأولى وعرفـــت هــذه الحياة كل ما تعرفه الحياة البدائية من أداء طقوس وسحر وعمل غيبى قليـــل الـــشبه بالدين كما الفهم العادى..ومع ذلك فتلك الطبقة البائدة نفسها تصلح لأن تكون مادة أسطورية لمن خلفهم على أرضهم بل كان فيهم من الآلهة والسحرة والمتنبئين ممن لم يعرض لهم القرآن الكريم برغم أنــــه ذكــر **ود، ســواع، يغوث، يعوق، نسر**، وغيرهم من أصحاب الوثنيـــة الذيـــن عرفـــهم عصـــر

الطوفان تماماً[٢٦] إذا فالشعب العربى (لم يكن فى جاهليته بدعاً بين الشعوب..فقد أقبل على تقديس الزهرة. ونسب إليها الحسن والجمال والفتنة والطرب، وقد دعيت كما سماها المنجمون بالسعد الأصفر لأنها فى السعادة لون المشترى وأضافوا إليها الطرب والسرور واللهو كما أن النظر إليها يوجب الفرح وتخفف عن الناظر إليها أحياناً مرارات العشق إذا كان عاشقاً كما أنها تثير غريزة الجنس، وكل دراسة للعناصر الميثيولوجية المرتبطة بالزهرة عند العرب ترجح إن لم تكن تؤكد أنه قد كانت هناك فى الجاهلية أساطير يتداولها العرب قبل الإسلام ويقيمون لها الطقوس..ويذهب الدارسون للمعتقدات العربية القديمة إلى أن الزهرة عرفت عند العرب بأسماء أخرى حسب ظهورها بعد غروب الشمس أو قبل شروقها..فكانوا يدعون نجمة المساء "عتر" وهى أيضاً "**أشعار**" أما نجمة الصباح فشاع أسمها "**العزى**" أى "**الآلة الثانية**"[٢٧] أما ما قيل عن أنها موجودة فى السير الشعبية فالأمر فيه قد يختلف..ذلك لأن:

١- سيرنا الشعبية فى الواقع تبتعد كل البعد عن الطقوس والشعائر الدينية سواء أكانت بدائيه أم حديثة "**فسيرة سيف بن زى اليزن**" تحاشت مس موضوع الأديان "إسلام ومسيحية ويهودية" على الرغم من أنها كانت محوراً أساسياً فيما تصوره من صراع بين الأحباش المسيحية واليمنية المتهورين.."**وسيرة عنترة بن شداد**" تصور أدق الدقائق فى حياة العرب قبل الإسلام ومع ذلك فإنه لا يرد فيها ذكر "للات والعزى وهبل ومناة" وغيرها من آلهة العرب سواء بشخوصهم أو بآثارهم، أما سيرة "الظاهر بيبرس" فتتناول المتصوفة والمجاذيب كظاهرة اجتماعية مطلقة بعيدة عن العقيدة الدينية وشعائرها[٢٨] (وليس فى سيرة بنى هلال آلهة أو اشباه آلهة لا لأنها صدرت عن العقلية العربية الموجودة فحسب ولا لأنها نشأت فى بيئة عرفت التوحيد ولكن لأنها كانت تسرد حوادث أناس ثبت لنا من الدراسة التاريخية أنه كان لهم كلهم. وجود واقعى) [٢٩]

٢- الأساطير والشعائر لا ترتبط ارتباطاً واقعياً بالحاضر الذي تستغل فيه ولهذا اختلفت الأراء عند تفسيرها..فالانثربولوجيون اعتبروها بقايا طقوس عقائدية اندثرت شعائرها بينما بقيت تلك الأساطير لتدل عليها..،وعلماء النفس

يعتبرونها مظاهر مجسدة للأحلام والاضطرابات واندفاعات العقل الباطن، وعلماء الاجتماع يعتبرونها مظاهر تاريخية مقنعة أو متخفية، أما السير الشعبية فارتباطها بالحاضر أمر لا جدال فيه حيث أنها ترتبط بشخصيات أو أحداث معاصرة لزمن كتابتها وتمس مشكلات العصر الذي كتبت فيه وتحمل من المضامين الإنسانية العامة ما جعلها تحيا كعمل فنى ناجح يشد إليه الجماهير منذ إنشائه إلى الآن. (٣٠)

٣- أعمال السحر والشعوذه مظهر عقائدى بالنسبة للأساطير والشعائر يشبه إلى حد كبير اعتقادنا العلمى فى العصر الحديث..فالدراسات الانثربولوجية تعتمد على الطقوس فى تفسير الأساطير والوقوف على موضوعها ومنطقها..أما السير الشعبية فلا تستخدم السحر بهذا المفهوم الذى يربطه بالعقائد وإنما يعتمد على الروائى كعنصر من عناصر الاثارة(٣١).

٤- بقايا الأساطير وأشتات الشعائر تعيش متفرقة فى أذهان الناس وينقلها أفراد كل جيل إلى الجيل الثانى له..محرفة البطل حيناً ومحرفة الأحداث أحياناً أخرى ومحرفة المدلول فى معظم الأحيان أما سيرنا الشعبية فهى أعمال قصصية متكاملة سليمة البقاء تربطها فكرة موضوعية بحيث تصل بين أول صفحة فيها وآخر صفحة منها(٣٢).

وعليه،....فإن الأسطورة شئ والسيرة الشعبية شئ آخر.

الفصل الثانى: الملاحم

الملاحم مفردها ملحمة..والملحمة في اللغة هي (الوقعة العظيمة القتل وقيل موضوع القتال..وفي الحديث اليوم يوم الملحمة، وفي حديث آخر ويجمعون للملحمة، وهي الحرب وموضع القتال، والجمع الملاحم مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها وقيل هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها..والملحمة: القتال في الفتنة..والملحمة: الحرب ذات القتل الشديد والملحمة: الوقعة العظيمة في الفتنة..وفي قولهم نبيُ الملحمة قولان أحدهما نبيُ القتال..والثاني نبيُ الصلاح) [٣٣] ثم أصبحت تدل على الشعر المطول في واقعة أو مجموعة من الوقائع تقترن ببطل أو أكثر برز في فنون الحرب وانتصر على عدوه.

أما في الاصطلاح فهي جنس أدبي يقوم على مطولة من الشعر وتحكي عجائب الأحداث التي تتجاوز الواقع إلى الخيال الممعن في الغرابة وتتركز حول شخصية البطل[٣٤] إذاً فالملحمة هي قصة شعرية طويلة ذات اهتمامات بطولية..مدونة أو شفاهية أو تجمع بين المجالين[٣٥] (إنها تحكي وقائع الأبطال في توحيد عناصر مجتمع من المجتمعات أو الانتصار على طائفة من الأعداء أو اقتحام العدد العديد من الأهوال والعقبات) [٣٦].

*** مجال الملحمة:**

عادة ما تستولد الملحمة مادتها من التقاليد الأدبية الشفهية وتمتد موضوعاتها واهتماماتها لتشمل الأبطال الأسطوريين التاريخيين أو المقدسين والحيوانيين[٣٧] لذا فهي خُلِقتْ في عصور قديمة كان الناس في فيها يعلموا شيئاً عن حوادث الطبيعة والمجتمع بالعلم والعقل وكانوا يحسون تجاه كل أعمال الطبيعة بالخوف أو التحير، الأمر الذي خلّفَ لأول مرة الأساطير وبعدها تطور إلى الملاحم ومن ثم فهي نتاج فقد الأساطير لوظائفها الحيوية وحل عقدها بعد أن تصبح متفرقات من الحكايات التي يشيع فيها السحر[٣٨] وبالتالي فهي تعد الجسر الذي يربط بين الأسطورة والحكاية الشعبية[٣٩] وعليه فهي تلك الصورة الشعرية الصادقة البارزة القسمات القوية التعبير لروايات المجد والبطولة والمغامرات أياً كان ميدانها وعلى أية صورة كانت حربية أو عاطفية أو فلسفية أو دينية أو تاريخية[٤٠].

* **أنواع الملاحم:**

يرى معظم نقاد ومؤرخى الأدب أن الملاحم لها أنواع مختلفة لكنها لا تجتمع عندهم فى سلسلة واحدة..بل يذهب البعض إلى نوع والبعض الآخر إلى نوع ثانى بينما البعض الثالث تختلط عنده المفاهيم فى المصطلح..لذا..فهذه الأنواع من وجهة نظرنا هى:

١- ملحمة الحيوان:

هى نوع من ذلك القصص الذي يطلق على شخصية رئيسية مخادعة تظهر عادة فى شكل حيوان لكنه مع ذلك ذو ذهن أريب منطقى(٤١) هذا النوع يكاد يكون مستقلاً بذاته..وفى ذلك يقول "**الكسندر هجرتى كراب**" بأن ملحمة الحيوان فى فكرتها الأساسية ليست من ابتداع العصور الوسطى الأوربية، فقد كانت معروفة من قديم وإن كانت فى شكل أقل اتقاناً..وقد بُعثت فى هذا الشكل فى عصر النهضة وبخاصة فى أسبانيا(٤٢) ومن ثم فإنه يمكن القول بأن هذا النوع من الملاحم قد ظهر نتيجة تحول اجتماعى حدث من غلبة الطبقة الأرستقراطية بفنونها المحكمة على الطبقة البرجوازية التى عملت على التهويل من شأن الصور والقيم السابقة على وجودها فجعلت من الملاحم العظيمة القديمة أشياء هزلية ساخرة(٤٣) وربما كان مصدر ملاحم الحيوانات هو وجود مجموعة من الحكايات حول عدد من الحيوانات تطورت ونمت فى سلسلة واحدة طويلة حول شخصية رئيسية شدت خيال القاص والسامعين معاً(٤٤)

ولعل أشهر مثال لهذا النوع (**الملحمة الهوميرية**) التى دارت بين الضفادع والفئران، وكذلك ملحمة "**رينار**" الفرنسية..وفيما يتعلق بملحمة "**رينار**" فإنه قد بدأ كتابتها باللغة اليونانية مؤلفون مجهولون ثم انتقلت إلى لغات قومية مختلفة وأضاف مؤلفون مختلفون إلى هذه السلسلة نحو ثلاثين قصة مرحة..حتى بلغ المجموع أربعة وعشرين ألف بيت من الشعر تدور فى جملتها حول هجاء الأساليب الإقطاعية وحاشية الملوك وتزمت رجال الكنيسة وهجاء سلوك الفرسان، ورجال القانون والمثالب الوسطى والدنيا...

في هذه الملحمة نرى الثعلب "رينار" يحتضر، ومن ثم يقبل "**برنـــار**" الحمار..كبير الأساقفة في الحاشية ليقوم له بالمراسم الدينية، ويعترف **(رينار)** بذنوبه، ولكنه يشترط إذا شُفي من مرضه أن يصبح في حل من يمينه التـــي أقسمها، وتدل المظاهر على أنه مات، وتجتمع الوحوش الكثيرة العـــدد التـــي خانها "**رينار**" في زوجاتها أو ضربها أو مزق لحومها أو خدعها، وتتظـــاهر بحزنها عليه، وإن كانت في خبيئة من أمرها سعيدة بموتـــه، ويُلقـــي كبـــير الأساقفة عظة بليغة على قبر **(رينار)**..ولكن **(رينار)** تدب فيه الحيـــاة حيـــن يُرش عليه الماء المقدس، ويقبض على عنق "**شانتكلير**" **{الديك}** وهو يطـــوح بالمبخرة، ويعدو نحو الغابة بفريسته....

وفي القصائد المبكرة لهذه الحلقة يُستدعى "**رينار**" إلى المحكمة للدفاع عن نفسه في طائفة من الجرائم التي اقترفها[٤٥].

هذا..ويذهب "**الكسندر هجرتي كراب**" إلى أن هذا النوع من الملاحـــم سبقتة الخرافة[٤٦] التي تدور حول الثعالب مثل خرافات أيسوب بالإضافة إلى معارف القناصين[٤٧].

٢- الملحمة الفنية (الأدبية):

هذا النوع هو الذي يظهر فيه إبـــداع الفـــرد وخيالـــه وذاتيتـــه فـــي الموضوع واللون بما يتفق مع ذوقه وخياله وعرَض الفصول على طريقته....

فمثلاً ملحمة **ويس ورامين**[٤٨] ملحمة عاطفية سفرت فيـــها الطبيعـــة البشرية دون تمويه أو مواربة تنظمها من شعراء القرن الخـــامس الـــهجرى "**فخر الدين أسعد الجرجاني**" حيث كتبها بالفهلوية التي لا يعرفها غير نفر قليل ثم نظمها بالفارسية بناء على اقتراح ولي نعمته العميد "**أبي الفتح المظفر بن حـــسين النيسابوري**" وكذلك ملحمة "**يوسف وزليخا**"[٤٩] التـــي وردت فـــي التوراة قصة مفصلة في سفر التكوين، وأفراد لها القـــرآن الكريـــم "ســـورة يوسف" وحفلت بها كتب التفسير وشروح المفسرين، ونظمها **الفردوسي** فـــي البحر المتقارب ثم جاء بعده عدة شعراء ونظموها بعده، وتصرف كل منـــهم في معالجة موضوعها بما يتفق مع ذوقه وخياله وعرض فصولها..كما أنـــه من مثل هذا النوع من الملاحم ملحمة "**رولاند الفرنسية**"[٥٠].

إذاً فهذا النوع من الملاحم نظراً لما فيه ذاتية المبدع وتدخلاته فإن النقد الفنى أو الأدبى يتجه إليه لبيان الجيد والردئ منه من ناحية الأسلوب والفكرة والموضوع وطريقة التناول والشاعرية والأسرار البلاغية والوصف والحوار والأشخاص إلى آخر كل هذه الأمور النقدية.

٣- البالادا:

وهى نوع قصص شعرى فولكلورى يروى أحداثاً ملحمية يراد لها الحفظ والاتصال..تضم قصصاً عن الأبطال وبعض الأحداث..وأن كثيراً من أبطالها اختارتهم الشعوب للتعبير عن رغباتها وأحلامها..كما أنها تترجم عن وجدان الجماعة عندما كان كل واحد من أفرادها قريباً من الآخر، وثيق الانتماء لمجتمعه....وكانت البالادا من الحوافز التى تعمل على تحقيق الوحدة والانسجام بين عناصر المجتمع..كما أن أحداثها تدور حول أبطال خارجين على القانون، وليس من شك أن الشعوب أرادت بهذا النوع أن تحقق وجودها على الرغم مما كانت تكابده من ظلم[٥١]..ولعل خير مثال على ذلك **(ملحمة السّيد)** الأسبانية..التى تدور حول أشهر أبطال "قشتالة" شهامة ومروءة، وأكثرهم ذكراً على الألسنة..إنه **(رود ريجو دياز دى بيفار)** الذى برز فى صفوف **(شانجه الثانى)** ملك قشتالة. فى الحرب التى شنها هذا الملك على **(شانجه)** ملك نبرة، وتغلب فى مبارزة على فارس من نبرة، فارتفع شأنه فى جيش قشتالة واصبح حاملاً لواء الملك ومُنح لقب "**السّيد القنيبطور**".

هذا الفارس بدأ بعد ذلك يحيا حياة قائد فرقة من المرتزقة، وأخذ يحارب حسبما تدعو الحال، المسلمين وأخوانه النصارى لصالح طرف ثالث أو لصالحه هو، واشترك فى القتال الذى نشب بين ولدى أمير "**سرقسطه**" ووقف إلى جانب "**يوسف المؤتمن**" وأحرز نصراً عظيماً على أعداء مولاه وغنم غنائم نفيسه وأسر "**أمير برشلونه**"، ولكنه كان معه كريماً فأطلق سراحه ودخل "**سرقسطه**" دخول الظافرين فأغدق عليه الملك العطايا وألقاب الشرف، واكتسب هيبة منقطعة النظير بين جنوده المسلمين الذين أخذوا يلقبونه **(سّيدى)**، وعقد معه بعض أمراء المسلمين معاهدة وطلبوا منه حمايتهم فوافق مقابل جزية يؤدونها إليه بإنتظام....واشتجر نزاع بين "**الفونسو**

السادس" و "**السّيد فهزمه السّيد**" وخرب منه عدة مدن واستولى على "مدينة بلنسية" واصبح بعد ذلك الحاكم المطلق لها.

هذا وقد كثر الظن أن كلمة (بالاد) ذات الأصل اللاتينى تعنى أن هذا كان يُغنى فى مصاحبة الرقص إلا أن معنى التسمية لا يسمح بهذا الظن، حيث أطلق هذا الإسم على ذلك النوع الأدبى فى مرحلة زمنية متأخرة بعد أن كانت التسمية قد لحقت بنوع معين من أغانى الرقص الأصلية..

ومن الخطأ أن نخلط بين الأنواع الغنائية الذاتية الخالصه والتى كان أصلها أغانى الرقص والتى كانت تسمى (بالاتا) فى الإيطالية والبرفنسالية، وبين الأنواع الأدبية أو الفولكلورية الشفهية التى تدل على كلمة (بالاد) الإنجليزية.

فليس بين هذه الأنواع وتلك عناصر مشتركة اللهم إلا حين صاحب (البالاد) الرقص فى مرحلة تاريخية متأخرة وفى مناطق محددة[٥٣] تم تطور الأسم بعد ذلك إلى الباليه الذى يعبر عن قصة غالباً ما تكون شاعرية ومترجمة إلى موسيقى اوركسترالية ثم تطور الزمن فاستغنى عن الشعر واحتفظت القصة بالموسيقى والرقص وحدهما كأداة للتعبير عنها[٥٤].. ولذا كان ذلك سبباً فى شيوع التسمية.

ومن هنا يمكن القول أن (البالاد) هى الأغانى الفولكلورية الملحمية التى كانت تؤدى مشافهة (وتحتفظ فى الوقت نفسه بخصائص أساسية لا تتغير) هى:-

١- أنها أغنية قصصية.

٢- تُغنى أو تنشد.

٣- تُنسب إلى الشعب من ناحية المضمون والأسلوب والتسمية.

٤- تتركز حول شئ واحد.

٥- مجهولة المؤلف..ويتحرك السياق من تلقاء نفسه عن طريق الحوار والحدث لكى يبلغ النهاية بسرعة. (هذا، وقد أجمع الدارسون على أن هذا النوع يحترفه الشعراء الجوالون والكتبة ورجال الدين والعلماء الذين ينتقلون من بلد إلى آخر) [٥٥].

هذا عن أنواع الملحمة:

لكن فى أى الأنواع السابقة يمكن أن نجد الملحمة الشعبية؟

حقيقة عندما ندرس أدب شعب من الشعوب نجد أنه يزخر بالقصص البطولية وبالشعراء وكذا بالملاحم التى تجسد معتقدات ذلك الشعب وأفكاره ومدنيته وآلامه وآماله وأخلاقه ومثله وأحلامه وأمانيه..إلا أنه فى خضم هذا كله قد تختلط الموضوعات وتتمزج امتزاجاً كلياً بالأساطير والأوهام والخرافات الشعبية فتضيع المعالم ويسودها الإبهام ولكنها فى الوقت نفسه تحتفظ بتراثيتها وتداولها.

هنا تبرز الملحمة الشعبية فى صورة مصب شعرى شفوى عريق له روافد تعتمد على المبالغة فى تصوير الأبطال والأحداث الواقعية مما يجعل الأمر صعباً فى تمييز الواقع فيها من الخيال..وهنا تكمن هوية الملحمة الشعبية وعلى حد قول د. أحمد عتمان (أن هذا ملمح واضح فى ملحمتى "**هوميروس**"..إذ تتبنيان تقنيات ملحمية ومادة خام شعرية تنتمى إلى العصر السحيق، ومع ذلك تقدمان لنا صورة للحياة المعاصرة "لهوميروس" نفسه بل أن هذا الملمح ذاته هو أكثر ملامح الأدب الأغريقى ككل وضوحاً وتأثيراً..بمعنى أنه يقوم بالأساس على مألوف موروث وقديم غاية فى القدم، بيد أنه يتحدث عن مجتمع معاصر(٥٦).

وعليه فإن ملحمتى "**هوميروس**" (**الالياذة، الأوديسة**)، تعدان من أروع ما أثر عن الشعر الملحمى..فالالياذة استلهمت موضوعها من قصائد سابقة عرفت باسم الحلقة الطروادية لأنها كلها تتصل بحرب طروادة وتتناول فيما تتناوله حادثة التفاحة الذهبية ومحاكمة باريس وخطف هيلين وحشد القوات اليونانية والوقائع الأساسية فى السنوات التسع الأولى من حرب طرواده..وتبدأ الألياذة بعد هذه الأحداث مباشرة وتنتهى بما تم هتكور(٥٧) وكما هو الشأن فى "**الألياذة والأوديسة**" **نجد "الشاهنامة الفارسية، وملحمة جلجامش العربية والرامايانا والمهابهارتا عند الهنود..**" وعليه فإن أنسب الأوقات لظهور الملحمة الشعبية هو (قرب الأمة من عهد البساطة والبداوة وإبان اشتداد الروح الوطنية والبعث القومى والحماس الدينى، وقبل تغلب الآداب الأرستقراطية على الأدب الشعبى وخموله وانصراف الناس عنه، فإذا حاول

شاعر نظم ملحمة فى غير هذه الظروف المواتية لم يكن لملحمتــــه الذيــوع والبقاء مهما أوتى من القدرة وقوة البيان لأن الأمة هى التى تصنع ملحمتـــها وليس للشاعر فيها غير الفن والصياغة..فإذا لم تستمد منظومتـــه الحماســية حياتها من روح الشعب ولدت ميته، وقد لا يتاح لأمـــة مـــن الأمـــم ظـــهور الملاحم (الشعبية) فى أدبها رغم توافر عناصرها ومقوماتها ووفرة مادتها لأنه لم يتهيأ لها شاعر تؤهله مواهبه واستعداده للنهوض بهذه المهمة أو لأن هـــذا الشاعر لم يتيح لها قبل نضجها العقلــى ورســوخ قواعــد الأدب المدرســى وعزوف ذوقها العام عن تذوق الأدب الشعبى أو لأن طبيعة شعرها وأصوله المقررة المرعية فى المحافل الأدبية لا تســـاعد علــى انشــاء المنظوهــات الحماسية المطولة(٥٨).

ما بين الملحمة والسيرة:

نظراً لاختلاط المفاهيم التى سادت وبـــاتت واضحـــة فـــى أجنـــاس القصص الشعبى المختلفة..فإن الملحمة أيضاً لم تسلم من هذا الخلط..ذلك لأن بعض الدارسين(٥٩) أطلق اسم "**السيرة**" على الملحمة..بل وزاد الأمر أن قـــام البعض الآخر وأجرى دراسات حول السير والملاحم ولم يفـــرق فـــى هـــذه الدراسات بين مصطلح الملحمة السيرة(٦٠) فمثلاً نجد "**الدكتور عبـــد الحميـــد يونس – فى معجم الفولكلور يقول**" [لقد عكف عدد من المتخصصيـــن فـــى المجتمعات الـــعربية على دراسة أدب الحروب وأبطالها على مدى التـــاريخ الـــعربى. وايام العرب تركيزاً لما لا يزال يتردد فى الوجدان الشعبى العربى، وإن غلب مـــصطلح السيرة على الملحمة. والمحور الرئيســـى الـــذى يمـــيز الملحمة الشعبية هو الصدور عن الوجدان الشعبى، وهذا ظاهر فى مـــلحمتى "**الزير سالم وعنتره**" وغيرهم وهو أيضاً مشـــهور ولا يـــزال مـــردداً فـــى المجتمعات الشعبية الـــعربية فى العصر الاسلامى مثل (**سيرة بنى هـــلال**)]. ثم بعد ذلك قام بعرض الـــخصائص الواضحة فى الملحمة الشعبية العربيـــة من خلال خصائص السيرة الشعبية الأسلوبية وفنية الأداء وغير ذلك.

أما الأستاذ/ **شوقى عبد الحكيم** فعقد دراســـة كاملـــة عـــن "**الســـير والملاحم الشعبية العربية**" (حيث قام بحصر السير والملاحم العربيـــة التـــى تجمعها الحروب والأخطار القارية أو الآنية بعامة وأهمها (**عنـــتر وحســـان**

اليمانى الملك التبع أو ذا اليمنين وسيرته وحمزة العرب المتعارف عليها فى الطيغان الشعبية باسم حمزة البهلوان وفيروز شاه وآخر الملوك التباعنه – اليمنيين، وهو الملك سيف بن ذى يزن..وسيرة عمر النعمان) غير المطبوعة أو المتداولة والتى ما تزال إلى أيامنا مخطوطة محفوظة "بمكتبة جامعة توبنجن بألمانيا الغربية" أما الحروب التى مجالها روما وبيزنطه فترد فى ثنايا الزير سالم – أبو ليلى المهلهل – وسيرة بنى هلال التى مجالها فتح المغرب العربى "تونس وقلاعها السبع" والوصول بالجيوش العربية المهاجرة – الزاحفة من الجزيرة العربية بشمالها القيسى العدنانى وجنوبها اليمنى القحطانى والمتحالفة تحت شعار أو شارة الهلال – الفلكيه – إلى قرطاج..بالإضافة إلى الأندلس..

. ثم توغل أطول سير التاريخ بلا استثناء لتلك "الأميرة الفلسطينية فاطمة بنت مظلوم "التى أُسميت بذات الهمة و "ابنها عبد الوهاب" لتغطى تلك الحروب والأخطار (البيزنطيه أو الروميه) ثم بعد ذلك وضّح "أن مجال السيرة الشعبية هو الأُنساب"..سواء "أنساب قبيلة أو عشيرة أو عائلة حاكمة" ومثّلها فى ذلك، "بالالياذه الهرمريه" التى يراها بأنها لاتعدو سيرة أنساب قرابية تؤرخ لأسرة "أتريوس" وحروبها فى أسيا الصغرى التى بؤرتها حصار "طرواده".

ثم حاول التفريق بين السيرة والملحمة فقال أن كلتيهما– فى معظم الأحوال – موضوعها الجوهرى هو الحروب والأحداث الجلل من حصارات وهجرات وسبى وخوارق وبطولات وفروسية..اللهم إلا الاختلاف الوحيد بين السيرة والملحمة فى الصياغة حيث تجنح لغة السيرة إلى الرواية وضوابطها التى تسرد بالحكى القصصى أو الروائى النثرى دون أن يخلو الأمر طبعاً من الشعر وإنشاده..وهو ما يخالف الملحمة التى قوامها الشعر الغنائى أو الأنسانى دون أن يخلو الأمر من حيث الصياغة اللغوية الروائية.

أما **الأستاذ/ فوزى العنتيل**(٦١) فيرى أن الأدب البطولى يوجد فى "**الألياذة**" التى تتميز فى أسلوبها بالشعر الكامل وفى السيرة (الملحمة النثرية) التى تتميز بالنثر المطرز باللغة الشعرية والبيان..ولعلنا نلحظ الخلط

واضحاً عنده فى أن السيرة هى الملحمة النثرية ثم لا يكتفى بهذا بل يدرجهما معاً تحت المفهوم العام لقصص الخوارق.

فى حين أن "**الكسندر هجرتى كراب**"(٦٢) يرى أن الملحمة النثرية هـــى فـــى الأصل ملحمة أسريه غرضها أن تحفظ مآثر الأسرة وأنسابها ولكنها تتطـــور بمرور الزمن فتصبح وعاء للتصورات الشعبية.

حقيقة وبعد كل ما تقدم قد تتشابه الملحمة والسيرة فى أنهما يجمعـــان الأسراف فى المبالغة وفى استعمال الشعر..إلا أن الفارق بينهما قـــد يكـــون أقوى من ذلك التشابه {فالملحمة فى صورتها الهوميريه تدور حول فكرة أولية عميقة هى صراع البشر ضد الآلهة الذين كانت تمتلئ بهم الديانـــة اليونانيـــة القديمة..أما السيرة الشعبية فإنها تبتعد تماماً عن هذه الفكرة العقائديـــة التـــى تـــجسد العلاقة بين البشر والخالق فى شكل صراع وقتال..فحتى "**سيرة سيف بن ذى يزن**" التى تناولت الصراع بيـــن الأحبـــاش المســـيحيين واليمنييـــن المتهورين لم تحاول أن تقحم الأديان ذاتها فى مجالات الصـــراع. "**وســـيرة كسيرة عنترة بن شداد**" – على الرغم من أن أحداثها تـــدور زمانيـــاً قبـــل الإسلام – فإن كاتبها حاول أن يجعل من عنترة داعية للدين الجديد وممـــهداً الأرض أمام الرسول قبل ظهوره بسنين فالمضمون الملحمـــى – مـــن هـــذه الناحية – لا ينطبق على السيرة الشعبية – كما أن هذا المضمون – من ناحية أخرى – يحدد للملحمة شكلاً معيناً هو الشكل الشعرى الكامل المعتمد علـــى الانشاء، أما السير الشعبية فإنها أعمال نثرية..ومع أن معظـــم هـــذه الســـير يـــحتوى على قدر غير قليل من الشعر إلا أن هـــذا الشعـــر لا يلعـــب دوراً ايجابياً فيها بمعنى أنه لا يدخل فى صلب الأحداث أو تطويرها ولا يســـتعمل في الحوار، وإنما هو فى معظمه مجرد تمثيل أو حليه للنص النثرى..فالمؤلف يصف المنظر – أو الحدث – نثراً – ثم يترجمه بعد ذلك إلى منظومة شعرية أو يتمثل له بقصيدة من الشعر الرسمى المعروف..من ذلك مثـــلاً أن ســـيرة عنترة بن شداد اشتملت بين طياتها على شعر عنترة فى المعلقات وعلى معظم ديوان "**عنترة بن شداد**"، وعلى عدد غير قليل من شعـــر مشـــاهير شعـــراء العصر الجاهلى دون أن يكون لبيت واحد من كل ذلك القـــدر الشعـــرى دور فعال فى بناء الأحداث أو تطويرها(٦٣).

ومن ناحية ثالثة فإن الملحمة بمضمونـها الأسطورى تبتعد عن الأنساب حيث أنها تمتزج امتزاجاً كلياً بالأوهام والخرافات الشعبية ومن ثم تضيع المعالم ويسودها الابهام ويصعب فيها تمييز الواقع من الخيال (أما السيرة فإنها تدور حول شخصية تاريخية حقيقية ومعروفة..حيث تتتبعه منذ ولادته حتى وفاته بجانب شخصيات تاريخية حقيقية ومن هنا يكون اللقاء بين السيرة الشعبية والمفهوم التاريخي للفظة السيرة الذى هو تصوير لحياة شخصية من الشخصيات التاريخية المعروفة تصويراً يتتبع التطور الزمنى لصاحب الشخصية ويلقي الأضواء على ما مر به من أحداث لها ارتباطات معينة إما بصاحب السيرة ككل وأما بناحية خاصة من نواحى حياته السياسية أو الثقافية أو المذهبية[٦٤].

إذاً فالسيرة والملحمة يختلفان تماماً - كما يقول د. محمود ذهنى - من حيث الشكل كما أنهما يختلفان من حيث المضمون..الأمر الذى يجعل أطلاق اسم الملحمة على السير الشعبية عملاً بعيداً عن الموضوعية والدقة.

- هكذا كان الإطار العام للملحمة.

- لكن ماذا عن الملحمة عند العرب؟

فى فترة زمنية سابقة ردد المثقفون أن العرب لم يعرفوا الملحمة فى تاريخهم القديم..إلا إن هذا زعم ثبت بالدراسات الحديثة والمقارنه فى مجال الأدب أنه خطأ. ذلك لأن (الوجدان العربى الجماعى قد عبر بروائع أدبية عن وقائعه الحربية وأبطاله المشهورين ويستطيع الدارس أن يجد التحول المباشر من الأسطورة إلى الملحمة فى حضارة الشرق القديم) [٦٥] فالعديد من الأغاني البطولية الملحمية عُثِرَ عليها ضمن مكتشفات رأس الشمرا ترجع إلى القرن الرابع عشر ق.م بسوريا الشمالية ودونت بالأبجدية الفينيقية..وتتحدث أحدى هذه القصائد الملحمية عن حياة وبطولات **(الآله بعل)** وقصيدة ملحمية أخرى تدور حول بطل يدعى **(أكحل آلهات)**، كما عثر على قصيد ملحمى يدور موضوعه حول اشراك الالهة الأنثى **(عنات)** فى اغتيال أخيها **(بعل)** واعادته ثانية للحياة على غرار الأساطير التموزية والأدونيسية لأدونيس إله فينيقيا الممزق.

كما عثر على ملحمة أوغارتيه تضم الأحرف السورية التى تشير إلى الأصول الأولى للحروب الطروادية تعرف بملحمة (كريت).

أما أقدم أشكال الملاحم الشعرية التى عرفها العالم القديم قاطبة فقد ولدت فى الشرق الأدنى أو عالمنا العربى..تغنى بها "**السومريون القدماء بالعراق**" وترجع إلى ثلاث آلاف عام ق.م حيث كانوا ينشدونها خلال حروبهم الطويلة فى آسيا الصغرى التى قادها ملوكهم الأوائل (**أنمركار**)، (**لوجلاباندا**)، ثم البطل الاسطورى (**جلجامش**) وعثر على خمسة قصائد ملحمية لجلجامش من هذا النوع فيما تشكل فيما بعد جسد ملحمته الشهيرة التى انحدرت بدورها إلى البابليين الذين أضافوا إليها وأعادوا بنائها إلى أن اكتملت كأقدم ملحمة عرفها العالم القديم وظلت معروفة متواترة على طول التاريخ العربى إلا أنهم تعارفوا عليها باسم (**قلقامش**).

كذلك ابتدع البابليون القدماء ملحمة اخرى منذ مطلع الألف الثانية ق.م يقوم موضوعها على الموتيفات والسمات الأسطورية بأكثر من البطولية..فهى ترسى قصة الخلق للعالم والإنسان حتى مجئ الأله (**ميردوك**) كبير الآلهة البابلية – فهى تصوير لمخاطر البطل الإسطورى أو الإنسان الأول وموضوعها بعامة لا يبعد بنا أيضاً عن جلجامش ومخاطره وبحثه الدائم عن الخلود والأمن الدائم عن الخلود والأمن(٦٦).

ومن هنا يمكن القول أن التراث العربى القديم ملئ بالتراكمات الملحمية..ليس فقط على مستوى النصوص الشفهية المتواترة بالحكى أو الإنشاد الشعرى والروائى بل هو موجود أيضاً فى المخطوطات المدونة..ذلك لأن الرجوع إلى اللهجات المختلفة والاعتراف بتنوعها (يغير من تلك الأحكام التقليدية الجامدة التى كانت سائدة) (٦٧).

ومن ثم فإن المشكلة الحقيقية التى ظل يعانى منها التراث العربى القديم وجعلته يظهر أما الباحثين عاجزاً عن الوفاء بتلك الأنواع الأدبية المختلفة الموجودة فى الآداب الأخرى هى تلك التداخلات الواضحة من قبل الاستعمار الثقافى(٦٨) الذى أراد أن يمحو الهوية الثقافية..بجانب عجز وقصور وتبعية الباحثين فى فترة زمنية معينة دأبوا فيها على كتب الأدب والتاريخ التى تتحدث عن الأدب الرسمى التابع بدوره لمخططات استعمارية فبرز على السطح عقدة النقص التى أظهرت عجز وضعف أدبنا العربى عن الوفاء بتلك الأنواع فيه، ومن ثم جاءت مفاهيمه ضيقة لا تعبر عن الفكر الحقيقى للأمة العربية.

الفصل الثالث : السير

إن لفظة "السير" مفردها سيرة..ولفظة "سيرة" لها مدلـــولات لغويـــة واجتماعية وتاريخية مختلفة:--

فأما المدلول اللغوى[٦٩] فيحمل معنى السُنَّةُ فمثلاً يقول الشاعر: **(فـــلا تجزعن من سنة أنت سرتها).** أى أنت جعلتها سائرة فى الناس..وهنا يـــأتى المعنى الثانى وهو الشيوع فمثلاً نقول.."سار الكلام فى النـــاس" **ثـم يـأتى المعنى الثالث وهو "الطريقة" حيث نقول مثلاً سار بالناس سيرة حسنة أمـــا المعنى الرابع فهو الهيئة ومن مثل ذلك قوله تعـــالى (ســنعيدها ســيرتها الأولى).**

أما السيرة بالمدلول التاريخى[٧٠] فهى تصوير لحياة شخصيـــة مـــن الشخصيات التاريخية المعروفة تصويراً يتتبـــع التطـــور الزمنـــى لصـــاحب الشخصية ويلقى الأضواء على ما مر به من أحداث لها ارتباطات معينة إمـــا بصاحب السيرة ككل وإما بناحية خاصة من نواحى حياته السياسية أو الثقافية أو المذهبية وغالباً ما يكون هدف مثل هذا العمل تعليميـــاً أو دعائيـــاً..فمنـــذ العصر الأموى انتشرت السير التاريخية انتشاراً واسعاً حيث تنـــاولت حيـــاة **"الخلفاء الراشدين ثم خلفاء بنى أمية"** من ناحية **"وفاطمة الزهـــراء وعلـــى وابنائه"** من ناحية.

ومن هنا نجد الاختلاف العريض بين السير التاريخية التـــى كتبتـــها أقلام الشيعة وتلك التى كتبتها أقلام كتاب **"أمويين أو عباسيين"**، على الرغـــم مـــن أنهم جميعاً تناولوا شخصية واحدة، واستمر هذا اللـــون مـــن التـــأليف يحظى بعناية بالغة طوال العصور التالية لاسيما عند "الطولونين والاخشيد ثم الفاطمين ومن بعدهم الأيوبيين والمماليك".

والحقيقة أن هذه السير التاريخية العربية تختلف إلى حد كبـــير عـــن السير التاريخية المعاصرة المعروفة عند الغربيـــين باســـم **"دراســـة الحيـــاة الشخصية"** Biography لأن الأولى كانت مجرد سرد العديد من الأحداث منبثق عن وجهة نظر خاصة تحددها ميول سياسية أو عقائدية، أما ســـيرة الحيـــاة الغربية فغالباً ما تخلو من الأهداف الدعائية، ويحل محلها هدف أدبى غايتـــه تحميل السرد التاريخى قوة تأثير فنى مستمد من القالب القصصى الذى يصب فيه الكاتب الأحداث التاريخية، وفى اختياره لمجموعة معينة من تلك الأحداث

تحتوى على مضامين درامية أو تستطيع أن توحى بإيحاءات تأثيرية، وفضلاً عن هذا فإن السيرة - بهذا الوضع تحمل قدراً غير قليل من الإنطباعات الذاتية ككل من كاتبها وصاحبها على السواء، كما أنها كثيراً ما تستخدم الحوار كوسيلة تعبيرية، وقد يلجأ كاتبها إلى ترتيب الأحداث التاريخية للسيرة بحيث تبدو متطورة تقود إلى عقدة - أو عدة عقد - ثم تقوم بحلها.

أما المدلول الاجتماعي للسيرة[٧١] فهو أنها أخذت معنى الحكاية القصصية أكثر من الحقائق الواقعية..فالاصطلاح الشائع أن فلاناً يتحدث فى "سير الناس" معناه أنه لا ينقل عنهم أحداثاً واقعية مجردة وإنما ينتقى منها المثير والغريب والشاذ ثم يضيف إليه من تخيلاته ما يجعله أقرب إلى القصة المختلقة أو الخيالية ومن ناحية أخرى فإن لفظة (سيرة) ربما أخذت معنى الأخلاق والسلوك الاجتماعي فتقول "فلان حسن السيرة وفلان سيئ السيرة" لتحدد مدى رضى الناس عنه أو غضبهم عليه من الناحية الاجتماعية، أو لنقدر مدى التوافق الاجتماعى الذى استطاع هذا الشخص أن يحصل عليه، أو مدى قدرته على التكيف مع مجتمعه.

السيرة الشعبية فى ضوء المدلولات السابقة:

يعتبر مصطلح "السيرة الشعبية" مدلولاً أدبياً للمدلولات السابقة حيث أن به قدراً من (المعنى التاريخى للسيرة وقدراً من المعنى الاجتماعى لها وقدراً من فن الكتابة الروائية وقدراً من بقايا الأساطير والملاحم والشعائر القديمة مع قدر من الشعر بعضه معروف متداول وبعضه ينشئه مؤلف السيرة[٧٢] وأيضاً مع قدر من المدلول اللغوى - ليخرج لنا فى النهاية صورة أدبية قصصية لها طابعها المميز وتحتاج إلى اسم مميز هو السيرة الشعبية.

السيرة الشعبية عند العرب:

لأن السيرة تستوعب الحكمة والنهج وتحقيق النموذج والمثال لذا كان من الطبيعى أن يحتفل الإبداع الشعبى بسيرة النبى "صلى الله عليه وسلم" وهى التى محفوظة ومرددة فى البيئات وفى المواسم وبخاصة فى الاحتفال بالمولد النبوى أو الهجرة أو الأسراء والمعراج - هذا بالإضافة - إلى أن الوجدان الشعبى اجتذب بعض الشخصيات التى عدها مثلاً يعمل على تحقيق

القيم الدينية والقومية والاجتماعية لذا انتشرت طائفة من السير الشعبية يقوم محورها على بطل او مجموعة أبطال أخذت كل منها شخصية تاريخية حقيقية ومعروفة..بل أن معظم هذه السير تتتبع حياة البطل منذ ولادته وربما قبل ذلك بكثير حتى مماته وقد تتبع امتداداته بعد وفاته..وإلى جانب الشخصية الرئيسية أو البطل فى السيرة الشعبية نجد كثيراً من الشخصيات الثانوية والمكملة والتى هى فى الواقع شخصيات تاريخية حقيقية كذلك وإن اختل المعيار الزمانى والمكانى للبعض منها كى يساير أحداث القصة ويصل إلى المضامين التى يهدف إليها كاتبها..أضف إلى ذلك أن كثيراً من تلك الأحداث هى فى حقيقتها أحداث تاريخية واقعية[٧٤].

ومن هنا كان اللقاء بين السير الشعبية والمفهوم التاريخى للفظة سيرة عند العرب لكن رغم ذلك كان هناك قضية تؤرق مستقبل السيرة العربية وتقف حائلاً أمامها ألا وهى (نفور نقاد الأدب منها ومباعدتهم بينها وبين الأدب بمعناه المطلق) [٧٥] وكان الرد على هذا النفور المجحف للسيرة الشعبية العربية هو الرجوع إلى السيرة نفسها ودراستها دراسة دقيقة – كما فعل كثيرون[٧٦]..لنلمح حقائق هامة تدخلها ميدان الأدب من أوسع الأبواب..هذه الحقائق هى[٧٧].

(١) أن السير الشعبية لم يكن هدفها تسجيل الحقائق التاريخية فقط بل كان لها مضمون اجتماعى عام يدافع عن قضية هامة من قضايا العصر بجانب المضمون الفنى أو القضية الإنسانية العامة.

(٢) أنها تحمل ترابط العمل من صفحته الأولى حتى صفحته الأخيرة..لا فى الموضوع فحسب وإنما فى نماء الشخصيات وتطور هذه الشخصيات تطوراً طبيعياً على الزمن ومع الأحداث.

(٣) وضوح الشخصيات الرئيسية والفرعية فيها بحيث تمثل كل منها موقفاً إنسانياً محدداً وبحيث يخدم هذا التحديد العمل من ناحية الموضوع ومن ناحية المضمون معاً.

وبنظرة سريعة على سيرة عنترة والأميرة ذات الهمة والظاهر بيبرس وعلى الزيبق وغيرها يمكن اثبات الحقائق السابقة.

ففى سيرة عنــترة بــن شــداد[٧٨] نجـد أنــها تتنــاول مشكلــة التعصـــب الجنسى..فتحارب التفرقة العنصرية والشعوبية، وتعتبر من هذه الناحيـــة أول عمل أدبى فى العالم ينادى بالمساواة والحرية الفردية والاخـــاء بيـــن البشـــر أجمعين.

وسيرة الأميرة ذات الهمة[٧٩] تتعلق إلى حد كبير بارهاصات الحروب الصليبية أو بالصراع بين العرب والروم بعد أن تمكنت جيوش الفتـــح مـــن تحويل البحر المتوسط إلى بحيرة عربية فاستولت على جزره جميعاً، وعلـــى الشواطئ الجنوبية ككل من فرنسا وايطاليا ثم أخذت تدق بطرقات شديدة على أبواب عاصمة الرومان غرباً وعاصمة البيزنطين شرقاً..الأمر الـــذى دفـــع ملوك أوربا جميعاً إلى التوحيد والتوسل بـــالدين والمســيحية لغـــزو البـــلاد العربية..فقامت سيرة الأميرة ذات الهمة لتعكس الصراع فى صـــورة أدبيـــة قصصية ولتقارن بين العرب والروم لا من حيث الشجاعة والحرب فقط بـــل من حيث الأخلاقيات والمثل والنظم الاجتماعية لا سيما فيما يختص بـــالمرأة ومكانتها فى المجتمع والفضائل التى تتحلى بها المرأة العربية.

وتأتى سيرة الظاهر بيبرس[٨٠] لتنتقل من موقف الهجوم إلى موقـــف الدفاع بعد أن تمكن الصليبيون من إنشاء إماراتهم فى فلسطين العربية فتكون هـــذه السيرة بمثابة الحافز الذى يدعو العرب إلى مناهضة الصليبين واسترداد الأرض العربية السليبة منهم عن طريق التوحد وضم الصفوف والإصلاحات الاجـــتماعية الداخلية لتتولد عنها القوة السياسية والحربية التـــى تســـتطيع أن تنال النصر وتطرد المغتصبين.

أما سيرة "على الزيبق"[٨١] فتأتى بعد ذلك لتتعرض تعرضاً مبـــاشراً للسياسة الداخلية فى مصر إبّان حكم المماليك ولتهاجم فى غير هوادة الفســـاد الذى استشرى فى أجهزة الحكومة وعمالها ولتنعى ضياع العدالـــة والقـــانون والنظام أمام الظلم والقوة والبطش ولتحارب الغدر والخديعة التـــى صـــارت أوضح شيم العصر.

هذه هى المضامين الاجتماعية والسياسية والإنسانية التـــى تحتـــوى عليها السير الشعبية وحتى الشخصيات والأحداث التى اختارها كاتبو الســـير إنما خضعت لنوازع فنيه كانت تدفع كاتب السيرة إلى عدم اعتبـــار الروابـــط

الزمانية والمكانية كى يخلق لها مجالات للحركة والتعبير تتفق مع الصورة الفنية التى يحاول التعبير عنها ومن ثم فإن السيرة الشعبية عمل أدبى قصصى يحمل وحدة العمل وقيمته الفنية..

وليس هناك أساس لما ذهب إليه العلماء وأصحاب العلوم فى قول ابن كثير مثلاً: (٨١).

[وأما ما يذكره العامة عن البطال والسيرة المنسوبة إلى دلهمة والبطال والأمير عبد الوهاب والقاضى عقبة فكذب وافتراء ووضع بارد وجهل وتخبط فاحش لا يروج ذلك إلا على غبى أو جاهل ردى، كما يروج عليهم سيرة عنترة العبسى المكذوبة، وكذلك سيرة البكرى والدنف وغير ذلك والكذب المفتعل فى سيرة البكرى أشد اثماً وأعظم جرماً من غيرها)(٨٢).

ان هذا الموقف المتشدد الذى يبحث بعقلية العالم نسى أن الذى يبحث فيه هو فن وليس بعلم..والفن فى مضمونه الرمز والتخيل..والقصص الشعبى الذى وصف فى العبارة السابقة بصفات قاسية هو لون من ألوان الفن..هذا الفن لا ينبغى أن نبحث فيه عن التاريخ بالمعنى المتعارف عليه، وأنما ينبغى أن نعرف أن هذا الفن القصصى بصفة خاصة والأدب الشعبى بصفة عامة هو (صياغة وجدانية لرأى الناس الحقيقى من حوادث التاريخ وأشخاصه التى تركت تأثيراً عميقاً فى حياتهم..أما التاريخ الحقيقى فهو الوثائق بكامل أنواعها وشهادات المؤرخين) (٨٣).

وعليه، فكان لزاماً على ابن كثير بدلاً من أن (يحنق هذا الحنق كله)(٨٤) أن يستفيد من هذا التاريخ الوجدانى بجانب التاريخ الوثائقى كى يكون لانتاجه العلمى قيمة فنية لما لهذا التاريخ المذموم من وجهة نظره من قيم واتجاهات وأفكار وأراء ومواقف هو نفسه استعان بها فى تفسيره لآيات القرآن التى تتناول حياة الرسول وأيام العرب والغزوات وما إلى ذلك.

اذا..وبعد ما تقدم يتضح لنا أن الخيال العربى أنتج ذخيرة كبيرة من السير الشعبية قليل منها وصلنا مثل **"سيرة عنترة بن شداد، سيرة بنى هلال – سيرة الأميرة ذات الهمة وسيرة الظاهر بيبرس وسيرة سيف بن ذى يزن وسيرة حمزة البهلوان وسيرة فيروز شاه وسيرة أحمد الدنف وسيرة على الزيبق"**.

وهنا يقول د.فؤاد حسنين [ليست هذه القصص التى جاء ذكرها هى كل تراثنا القصصى الإسلامى.. فدور الكتب ملأى بالمخطوطات التى تدلنا على غزارة الخيال العربى وقوته الخالقة، وكلما أمعنا فى دراسة هذه القصص والعناية بها تَكَشّفَ لنا أوجه النقص فى الكثرة المطلقة من الكتب العربية التى يدّعى أصحابها أنها دراسات حول الأدب العربى أو عصر منه، وذلك لأن المستشرقين من هؤلاء الأدباء يجهلون لغات الجزيرة قبل الإسلام ولا يعرفون من اللغات العربية إلا اللهجة القرشية، وحظهم من القصص العربى الذى تتصل حوادثه بأدبنا فى الجاهلية إلى اليوم قليل جداً[٨٥] وعليه..وباستنطاق كتب العرب نجد أن هناك سيراً آخرى متناثرة فى بطون كتب التراث مثل **سيرة يعرب بن قحطان** أول من تكلم العربية والضحاك الحميرى التى تحكى وتؤرخ لكيانات الخليج العربى الغابرة، و "**عبيد الغالبة والملك معروف ووزيره البين وابنه الشاطر حجازى**"[٨٦] كل هذا يحتاج إلى جهد الباحثين من أجل أبراز وجه أدبنا العربى المشرق.

هوامش الباب الأول

١-ابن منظور - لسان العرب - مادة - شعب.
٢-د. محمود ذهنى - الأدب الشعبى العربى - مفهومه ومضمونه - مطبوعات جامعة القاهرة - فرع الخرطوم ١٩٧٢، ص ٨٣.
٣-ابن منظور - لسان العرب - مادة قص.
٤-المصدر السابق - مادة حكى.
٥-د. عبد الحميد يونس - معجم الفولكلور - مكتبة لبنان ط ١- سنة ١٩٨٣ - مادة الحكاية الشعبية.
٦-راجع ابن منظور - لسان العرب - مادة سطر، وكذلك القاموس المحيط للفيروز ابادى، مختار الصحاح، المعجم الوجيز.
٧-د. نبيلة ابراهيم - أشكال التعبير فى الأدب الشعبى - دار المعارف بمصر - سنة ١٩٨١م - ص١٩.
٨-د. أحمد كمال زكى - الأساطير - المكتبة الثقافية - دار الكاتب العربى - ص ٣.
٩-راجع د. عبد الحميد يونس
* معجم الفولكلور- مادة اسطورة.
* الاسطورة والفن الشعبى - المركز الثقافى ط١ سنة ١٩٨٠م - ص ٢٠.
* التراث الشعبى - دار المعارف بمصر - ص ٢٥.
* الحكاية الشعبية - المكتبة الثقافية - دار الكاتب العربى - ص ٣.
١٠- راجع: د. نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير فى الأدب الشعبى - مصدر سابق ص ٢٦: ص ٤٥.
١١- د. عبد الحميد يونس - معجم الفولكلور - مصدر سابق - مادة اسطورة.
١٢- راجع: د. عبد الحميد يونس -
* معجم الفولكلور - مصدر سابق - ص ٣٤.
* التراث الشعبى - مصدر سابق - ص ٢٦، ص ٢٧.

١٣- د. حسين الحاج حسن - الأسطورة عند العرب فى الجاهلية - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - لبنان سنة ١٩٨٨م - ص ٢٤.

١٤- راجع: د. نبيلة إبراهيم - اشكال التعبير فى الأدب الشعبى - مصدر سابق ص ٢٦، ص ٣٦

١٥- المصدر سابق - ص ٣٣، ٤٢.

١٦- المصدر السابق - ص ٤٢: ٤٥.

١٧- د. حسين الحاج حسن - الأسطورة عند العرب فى الجاهلية - مصدر سابق - ص ٤٨، ٧١.

١٨- راجع للاستزادة.

١- ك.ك رائفين - الأسطورة - ترجمة جعفر صادق الخليلى - منشورات عويدات - الطبعة الأولى - بيروت - باريس - ١٩٨١م - ص ١٤/٣٣/ص ٦١/١١٨.

٢- د. عبد الحميد يونس معجم الفولكلور - مصدر سابق - مادة أسطورة.

١٩-المسعودى - مروج الذهب - الجزء الثانى - ص ٢٧.

٢٠- السيوطى - المزهر - الجزء الأول - ص ١٦٧.

٢١- د. حسين الحاج حسن - الأسطورة عند العرب فى الجاهلية - مصدر سابق - ص ٥٢.

٢٢- السيد عبد الحافظ عبد ربه - بحوث فى قصص القرآن - دار الكتاب اللبنانى بيروت ص ٢٩ - ٣٠.

٢٣-د.نبيلة إبراهيم - اشكال التعبير فى الأدب الشعبى - مصدر سابق - ص ٢٤.

٢٤- د. عبد الحميد يونس - دفاع عن الفولكلور - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٣م - ص ١٧٣، ١٨٨، ١٨٩، الأسطورة والفن الشعبى - المركز الثقافى - ط١ ١٩٨٠ - ص ١١١، وكذا د. أحمد كمال زكى الأساطير - المكتبة الثقافية - القاهرة - ص ٥٠..عندما يرى أن سيف بن ذى يزن بطلاً أسطورياً بتلاحم قوى الطبيعة مع ما وراء الطبيعة ويلتقى بالمردة ويحارب السحرة.

٢٥- يمكن مراجعة * ابن سعيد الاندلسى - نشوة الطرب فى تاريخ العرب - مخطوطة - تحقيق د. احمد كمال زكى حيث نجد فيها ألوناً طريفة من أساطير العرب القدماء.

* وهب بن منبه - التيجان فى ملوك حمير - تحقيق مركز الدراسات والأبحاث اليمنية - تقديم د. عبد العزيز المقالح - وما فيه عن أحوال خلق العالم منذ بدء الخليقة حتى سيف بن زى يزن أول ملك متوج.

* عبيد بن شريه الجرهمى - أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها - تحقيق مركز الدراسات والأبحاث اليمنية.

* د. حسين الحاج حسن - الأسطورة عند العرب فى الجاهلية - مصدر سابق - حيث يعرض من خلال الشعر الجاهلى فكرة الأسطورة عند العرب ثم من خلال الروايات للأخباريين، وكذا ما ورد فى القرآن الكريم عن الجاهلين الأمر الذى لا يخولنا وجود الأساطير عند العرب بحجة بداوتهم وضيق افقهم وبساطة تفكيرهم.

٢٦- د. أحمد كمال زكى - الأساطير.

٢٧- د. عبد الحميد يونس - الأسطورة والفن الشعبى - مصدر سابق - ص ٦٣.

٢٨- د. محمود ذهنى - تذوق الأدب - طرقه ووسائله - الأنجلو المصرية - بدون تاريخ - ص ١٧٧.

٢٩-د. عبد الحميد يونس - الهلالية فى التاريخ والأدب الشعبى - مطبعة جامعة القاهرة - ١٩٥٦- ص ١٥٨.

٣٠-د. محمود ذهنى - تذوق الأدب - مصدر سابق - ص ١٧٧.

٣١- المصدر السابق - ص ١٧٧، ص ١٧٨.

٣٢- المصدر السابق - ص ١٧٨.

٣٣- ابن منظور - لسان العزب - مادة لحم.

٣٤- د. عبد الحميد يونس - معجم الفولكلور - مادة الملحمة الشعبية.

٣٥- شوقى عبد الحكيم - السير والملاحم الشعبية والعربية - دار الحداثة - بيروت - ١٩٨٤م - ص ٧.

٣٦- د. عبد الحميد يونس - الحكاية الشعبية - المكتبة الثقافية - ص ٢١.

٣٧- شوقى عبد الحكيم - السير والملاحم الشعبية العربية - مصدر سابق - ص ١٤٧.

٣٨- د. عبد الحميد يونس - دفاع عن الفولكلور - مصدر سابق - ص ١٤٧.

٣٩- د. عبد الحميد يونس - الحكاية الشعبية - مصدر سابق - ص ٢١.

٤٠- د. أمين عبد المجيد بدوى - القصة فى الأدب الفارسى - دار النهضة العربية - بيروت سنة ١٩٨١م - ص ٩٨.

٤١- فوزى العنتيل - عالم الحكايات الشعبية - دار المريخ للنشر - الرياض سنة ١٩٨٣م، ص ٥٨.

٤٢- الكسندر هجرتى كراب - علم الفولكلور - ترجمة رشدى صالح - دار الكاتب العربى سنة ١٩٦٧م - ص ٦٦.

٤٣- د. عبد الحميد يونس - معجم الفولكلور - مادة ملحمة الوحوش.

٤٤- فوزى العنتيل - عالم الحكايات الشعبية - مصدر سابق - ص ٦٣.

٤٥- قصة الحضارة - الجزء السادس - المجلد الرابع - ص ٢٩١: ص ٢٩٩.

٤٦- الكسندر هجرتى كراب - علم الفولكلور - المصدر سابق ص ٦٦.

٤٧- فوزى العنتيل - عالم الحكايات الشعبية - مصدر سابق - ص ٦٤.

٤٨- راجع د. أمين عبد المجيد بدوى - القصة فى الأدب الفارسى - مصدر سابق ص ٢٢٩: ص ٢٣٢.

٤٩- راجع: المصدر السابق ص ٢٣٥: ص ٢٤٥.

٥٠- د. عبد الحميد يونس - معجم الفولكلور - مادة أغنية رولاند.

٥١- المصدر السابق - مادة بالادا.

٥٢- راجع

١-د. الطاهر احمد مكى - ملحمة السّيد- دراسة مقارنه- دار المعارف- مصر.

٢- د. عبد الحميد يونس- معجم الفولكلور - مادة السّيد.

٥٣- الكسندر هجرتى كراب- علم الفولكلور- مصدر سابق - ص ٢٨٣.

٥٤- د. محمود ذهنى- تذوق الأدب- مصدر سابق ص ١٠١.

٥٥- د. عبد الحميد يونس- معجم الفولكلور- مادة (بالاد).
٥٦- د. أحمد عتمان- التقنية الشفوية للمنشد الملحمى- الفنون الشعبية- القاهرة - العدد (١٨) سنة ١٩٨٧م- ص٣٦.
٥٧- د. عبد الحميد يونس- معجم الفولكلور- مادة الالياذه.
٥٨- د. أمين عبد المجيد بدوى- القصة فى الأدب الفارسي- ص ١٠١.
٥٩- د. عبد الحميد يونس- معجم الفولكلور- مادة الملحمة الشعبية.
٦٠- أ- شوقى عبد الحكيم- السير والملاحم الشعبية والعربية.
ب- عبد الرحمن أيوب- حول سردية النص الملحمى العربى- مدخل للقراءة الفصلية المقطعية- مجلة المأثورات الشعبية - سنة ١٩٩٠م- العدد ١٩.
٦١- فوزى العنتيل- عالم الحكايات الشعبية- مصدر سابق - ص١٤، ص ١٥.
٦٢- الكسندر هجرتى كراب- علم الفولكلور- مصدر سابق - ص ١٤٠، ص ١٤١.
٦٣- د. محمود ذهنى- تذوق الأدب- مصدر سابق- ص ١٧٦،١٧٧.
٦٤- المصدر السابق- ص ١٦٩: ص١٧١.
٦٥- د. عبد الحميد يونس- معجم الفولكلور- مادة الملحمة الشعبية.
٦٦- شوقى عبد الحكيم- السير والملاحم الشعبيَة العربية ص ٨، ص٩.
٦٧- د. عبد الحميد يونس- معجم الفولكلور- مادة المحلمة الشعبية.
٦٨- راجع هذا الموضوع وتحليلاته الوافية عند:
أ-د. محمود ذهنى
* تذوق الأدب مصدر سابق ١٣٥، ص ١٣٦.
* الأدب الشعبى العربى- مصدر سابق، ص ١٩ وما بعدها.
ب- فاروق خورشيد- أضواء على السير الشعبية- منشورات إقرأ- بيروت- د.ت ص٥: ص ٢٦.
٦٩- ابن منظور- لسان العرب- مادة سير.
٧٠-د. محمود ذهنى- تذوق الأدب- مصدر سابق ص١٦٩، ص١٧٠.
٧١- المصدر السابق- ص ١٧٠.

٧٢- المصدر السابق- ص ١٧١.
٧٣- د. عبد الحميد يونس- معجم الفولكلور- مادة سيرة.
٧٤- د. محمود ذهني- تذوق - مصدر سابق- ص ١٧١.
٧٥- راجع أ- فاروق خورشيد- أضواء عل السيرة الشعبية- الأدب. مصدر سابق - ص ٢٤.
ب- د. عبد الحميد يونس- الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي- مطبوعات جامعة القاهرة.
٧٦- راجع في هذا الشأن على سبيل المثال:
أ- د. طه حسين- حديث الأربعاء- الجزء الأول..عندما قال عن سيرة عنترة {أنها أول الأعمال التي عرفها تراثنا الأدبي وأطلق عليها اسم السيرة وبطلها عنترة بن شداد شخصية تاريخية معروفة ارتبطت بالشعر الجاهلي وبالقصائد المعلقة على الكعبة التي تعتبر قمة الفن الشعري الجاهلي.}
ب- د. عبد الحميد يونس- الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي.
جـ- د. عبد الحميد يونس- الظاهر بيبرس في الأدب الشعبي.
د- د. محمود ذهني- عنترة بين التاريخ والأدب الشعبي.
هـ- د. فؤاد حسين - قصصنا الشعبي - دار الفكر العربي - القاهرة سنة ١٩٤٧.
و- فاروق خورشيد، د. محمود ذهني- فن كتابة السيرة الشعبية.
ز- فاروق خورشيد- أضواء على السيرة الشعبية.
حـ- د. شكري عياد- البطل في الأدب والأساطير.
٧٧-
أ- د. محمود ذهني- تذوق الأدب- مصدر سابق- ص ١٧١.
ب- فاروق خورشيد- أضواء على السيرة الشعبية- مصدر سابق- ص ٢٤.
٧٨- سيرة عنترة- المكتبة الثقافية- بيروت- لبنان سنة ١٩٧٩م- "السيرة الحجازية".
٧٩- سيرة الأميرة ذات الهمه- "إعداد د. نبيلة إبراهيم".
٨٠- سيرة الظاهر بيبرس- دار الكتب الشعبية- بيروت- لبنان- بدون تاريخ.

٨١- فاروق خورشيد- على الزيبق- دار الشروق- بيروت- لبنـــان ســنة ١٩٨١م.

٨٢- ابن كثير. راجع فاروق خورشيد (أضواء على السيرة الشعبية).

٨٣- د. قاسم عبده قاسم- الأدب الشعبى وسيلة للتعرف على الحياة الفكريــة للشعوب- مجلة الفنون الشعبية- القاهرة العدد ٢٤ سنه ١٩٨٨م.

٨٤- راجع: فاروق خورشيد فى رده على ابن كثير فى هذا الشأن (أضـــواء على السيرة الشعبية ص ١٥: ص ١٨.

٨٥- د. فؤاد حسنين- قصصنا الشعبى- مصدر سابق.

٨٦- راجع شوقى عبد الحكيم- السير والملاحم الشعبية والعربيـــة ص ٨٢: ص ١٠٣.

البـــاب الثـــانى

الحكايات الشعبية

الفصـــــل الأول:

"حكايات الحيوان الخرافية والجان والخوارق.

إن الدارس للحكايات الشعبية ينبغى أن يدرك تلك المصطلحات الدقيقة للضروب المختلفة للحكايات الشعبية. فهذه ليست مفيدة فقط بل ضرورية حيث أن حيـــاة الإنسان والتشابه فى مواقفها قد يسفر بالضرورة عن حكايات تروى فى كل مكان وهى حكايات مـتشابهة بدرجة كبيرة من كل النواحى البنائيـــة المهمـــة..إذا أن لها شكلاً محدداً ومادة فى الثقافة الإنسانية. ومن ثـــم فمـــن الهام والضرورى جداً تمييز تلك المصطلحات وهذه الأشكـــال حتى لا تختلف المفاهيم.

هذا وقد سبق أن حددنا مدلول لفظة "حكاية" وعرفنا بعد ذلـــك أنـــها جنس فرعى من أجناس التعبير فى القصص الشعبى....وبقى بعـــد ذلـــك أن نعرف الأنواع التى تتدرج تحت مفهوم التراثية والتداول.

أ- حكايات الحيوان الخرافية:

تقص جميع الشعوب تقريباً طرائف قصيرة عـــن الحيـــوان، وتعـــد حكايات الحيوان من أقدم أشكال الحكايات ان لم تكن أقدمها على الإطـــلاق، وقد وجدت فى كل مكان فى العالم وفى جميع المستويات.

وبصفة عامة فإن "حكاية الحيوان فى صورتها المبكرة هى محاولـــة لتفسير خصائص الحيوان المختلفة وعاداته باعتبارها مصادر خصبة فى مادة القصاص البدائى" (1).

فالإنسان البدائى فى العادة كان يعيش على مقربـــة مـــن الحيوانـــات الوحشية منها والأليفه لذا فكان من الطبيعى له أن يبتـــدع حكايـــات تصـــور مـــغامرات خياليه للحيوانات تتصرف فيها وتتحدث وتدفعها بواعث وعواطف مـــماثلة لما لدى الإنسان..ولعل هذا جاء للإنسان من اعتقـــاده أن للحيـــوان روحـــاً مثل روحه وأنها تبقى بعد موته، واعتقاده أيضـــاً أن هـــذه الـــروح تستطيع أن تنجو من الموت الذى يلحق بجسومها ســـواء بـــالتجول كـــأرواح

مجردة أو بالميلاد مرة أخرى فى صورة حيوانية. الأمر الذى جعل بعض الشعوب البدائية تعتقد فى أن أرواح الأسلاف تحل محل أجسام الحيوان، لذلك وصل الحد بهم أن قدسوه لدرجة التأليه[٢].

اذاً فحكاية الحيوان فى الأصل كانت تهدف إلى تفسير حقيقة من الحقائق الطبيعية التى لا يستطيع الإنسان البدائى فهمها لكنها سرعان ما لبثت بعد ذلك وأخذت تبرز عظة أخلاقية.

وعندما نجد حكايات الحيوان تتضمن مغزى أخلاقياً يعبر عادة عند نهاية الحكاية ذاتها فإنها فى هذه الحالة تكون خرافية "**Fable**"[٣].

وعليه، فإن حكايات الحيوان الخرافية هى حكايات تظهر فيها شخصية الحيوانات وهى تتحدث وتقوم بأفعال مثل الآدميين ولو أنها عادة تحتفظ بقسماتها الحيوانية إلا أنها لا تظهر خصائص الحيوان فى الواقع أو سلوكه وإنما يكون لها هدف التأكيد على الدرس الأخلاقى للناس أو تقصد إلى النقد اللاذع أو الهجاء لتصرفاتهم[٤] بجانب أنها وضعت أصلاً للتسلية والترفيه ومن هنا كانت حكايات الحيوان الخرافية .

*** مجال حكايات الحيوان الخرافية :-**

لما كانت الحيوانات تحتل مركزاً مرموقاً فى مخيلة ووجدانيات القاص الشعبى لذا وجدناه يتخيل فى حكاياته قصصاً تدور بين الحيوانات ويتخيل صراعاً يدور بين حيوان وآخر ويجعل العلاقات الإنسانية نفسها موجودة فى مملكة الحيوان مراعياً فى ذلك أن بعض الحيوانات تمتاز عن غيرها بصفات أو طباع معينه تغلب عليها "**كالثعلب الماكر والديك المغرور والحمار الغبى**" وغير ذلك . هذا وقد استغل القاص الشعبى هذه الحيوانات ليرمز بها إلى أنواع من الطباع أو الصفات أو العلاقات الإنسانية ليبين مدى قبحها أو جمالها[٥].

لذا يفسر العالم الامريكى "ستيث طومبسون" هذه المخالفة فى الطباع حين يقول : "أن الملاحظ فى بعض الأحيان أن التراث الشعبى شديد الحرص فى اختياره للحيوانات ، لكى يجعل الأفعال الإنسانية مناسبة بقدر الامكان ، وعلى هذا فإننا نجد أن الدب يتصف بالغباء بينما يتصف الثعلب بالمكر أما الأرنب فنجده سريع الحركة ومخادعاً . ولكن مثل هذا الحرص البارع فى تأليف حكايات الحيوان لا نتوقع أن نلقاه فى كل مكان فأحياناً تبدو لنا تصرفات الحيوان غير ملائمة على الاطلاق وقد يكون ذلك بسبب الارتباطات الدينية وقد يكون راجعاً لمجرد عدم الاهتمام فى تأليف الحكاية . كما أننا فى بعض الأحيان نجد أن دور حيوان معين يتغير تغيراً تاماً أثناء الرحلة الطويلة لتراث بعينه ومثال ذلك ما نجده بالنسبة للثعلب الأوربى الماهر الذى تغير دوره خلال الهجرة الطويلة عبر أفريقيا إلى جورجيا فأصبح ذلك الغبى الذى يترك الأرنب يستخدمه حصاناً للركوب .

وإذا كانت بعض حكايات الحيوان البالغة التشويق قد يقترن بها نوع من التغير فإنه يبدو أن عدداً من هذه الحكايات نجد فيه أن العنصر التفسيرى عنصر ثانوى بالنسبة لما تهتم به الحكاية نفسها كحكاية . . ومن الحكايات المعروفة فى مناطق كثيرة فى أوروبا وأفريقيا وأمريكا حكايات الحيوان الخرافية التى تقوم بإنشاء طريق ، فيقوم الثعلب بدور الملاحظ ويتولى معاقبة الحيوانات الكسولة ، وكذلك نجد فى بعض الحكايات أن الحيوانات تكتسب صفات غيرها من الحيوان بسبب إخفاقها فى رد أشياء سبق أن اقترضها. . وعليه فإن هذه الحكايات بصفة عامة تُختتم بالمغزى الأخلاقى ولتكن فى النهاية قصص قصيرة تظهر فيها شخصية الحيوانات وهى تتحدث وتقوم بأفعال مثل الآدميين (٦).

* **اتجاهات البحث فى حكايات الحيوان الخرافية [٧]:**

اتجه البحث العلمى فى حكايات الحيوان الخرافية منذ نشأتـــه نحـــو هدفين اثنين . . . فقد اهتم من جانب بطبيعة الأشكال الشفويـــة "للمـــأثورات الشعبية" كما اهتم من جانب آخر بطبيعة الحضارة الشعبية وهى تتضح فـــى مضمون تلك الاشكال وفى حياتها وقد كان من الطبيعى أن ينبثق عن ثنائيـــة المنطلق وازدواجية النظرة منهجان للبحث إنبثق أولهما فى جوهرة من تاريخ الأدب الـــمقارن ثم استقل عنه مكوناً فرعاً جديداً ، وتطور المنهج الآخر على أســـاس المدرسة الاجتماعية الفرنسية والمدرسة الأنثروبولوجية الإنجليزية. . وكان من نتيجة ذلك أن حدد الدارسون أربعة مصـــــادر رئيســـية لحكايـــات الحيوان فى التراث الأوروبى وهى :-

- المجموعات "الأوروبية للخرافات الهندية ثم خرافات أيسوب" بعد تنقيحها ، فهذه الخرافات قد تأثر بها الأدب اللاتينى، ولقد حاكاها "هوراس"، و "فيـــدد" فنظما طائفة من الحكايات على غرارها كما أن أدب العصور الوسطى فـــى أوروبا تأثر بهذه الحكايات اليونانية واللاتينيـــة ، فقـــام الكتـــاب والشعـــراء بترجمتها أو محاكاتها حتى إنتهى ذلك الميراث إلى "لافونتيـــن" فـــى القـــرن الســـابع عشر فأوفى به على الغاية وأصبح مثالاً لمـــن حـــاكوه فـــى الآداب جميعاً. وقد تأثر "لافونتين".. كما قرر أحد الدارسين _ بالترجمـــة الفارســـية لكليلة ودمنة التى قام بها " حسين واعظ كاشفى " فى أخريات القرن الخامس عشر الميلادى .

أما ثالث هذه المصادر فهو حكايات الحيوان الأدبية التى ترجع إلـــى العصور الوسطى والتى جمعت فيما يعرف بحلقة "الثعلب رينار" والتى كونت فيما بعد الملحمة الهجوية المعروفة بأشهر نماذجها ملحمة الثعلب رينار.

وأما المصدر الرابع فهو التراث الشفوى الخالص الذى تطور جـــانب منه فى روسيا وفى بلاد البلطيق .

ويرى الباحثون أنه على الرغم من تحديد هذه المصادر فإن التداخل بين تيارات هذه المؤثرات شديد التعقيد بحيث يجعل محاولة كتابة تاريخ حكاية معينه من حكايات الحيوان موضوعاً بالغ الصعوبة.

وبالإضافة إلى مجموعات الخرافات وحلقة الحيوان التى إنحدرت من العصور الوسطى فهنالك مجموعات أخرى هامة من الأعمال الأدبيةالتى قصت حكايات الحيوان المعروفة أيضاً فى التراث الشعبى ، وأهم هذه الأعمال ثلاث مجموعات هى مجموعة الحكايات البوذية المعروفة بالجاكاتا والتى تشكل أيضاً جانباً من التعاليم البوذية المقدسة ، وثانيها هو هذه السلسلة الطويلة من الكتب التى تضم قصصاً وعظية أو تصويرية حكاها قساوسة العصور الوسطى وأخيراً ذلك العمل المتصل لمؤلفى الخرافات فى عصر النهضة .

ورغم أن الباحثين اتفقوا على مصارد هذه الحكايات إلا أنهم اختلفوا حول موطن هذه الحكايات . "فتيودور بنفى" يرى أن معظم خرافات الحيوان موطنها بلاد الأغريق . كما عرفت فى خرافات "أيسوب" فى القرن السادس قبل الميلاد ، ورأى بعض الدارسين أن النهد أسبق من اليونان وأن هجرتها كانت من الشرق إلى الغرب وليس العكس مستدلين على ذلك بأن الحيوانات والطيور التى تلعب أدواراً مهمة فى الخرافات هندية فى الأغلب كالأسد والفيل والطاووس وابن آوى الذى صار ثعلباً فى التراجم الأوروبية، وأن كثيراً من خرافات "أيسوب" مصدرها "الجاكاتا" على أن هناك من يرى موطنها هو مصر وأنها انتقلت منها إلى اليونان عن طريق أسيا الصغرى وأن بعض الحكايات المصرية القديمة على لسان الحيوانات يرجع تاريخها إلى القرن الثانى قبل الميلاد مثل قصة السبع والفأر التى وجدت فى ورقة بردى.

ومن الباحثين من يرد نشأتها إلى "بابل وأشور".. وأخيراً فهنالك الرأى القائل بنشأتها مستقلة فى أماكن مختلفة .. وقد أشار (سايس **Sayce**)

إلى وجود مثل هذه الخرافات فى جنوب أفريقيا . . ومهما يكن من أمر فإن أقدم الخرافات التى ظلت باقية هى الخرافات الأغريقية والهندية .

ويرى الدارسون أنه من المعتقد فى الوقت الحاضر بأن أياً من البلدين لم ينشئ هذا النمط من الحكايات ولكنه فى أصله سامّى إذ أن أقدم المجموعات الشرقية هى "البنجاتنترا" والتى أصبح جزءاً منها هو خرافات بيدبا "كليلة ودمنه" فى العصور الوسطى، قد أعتبرت الخرافات فى العصور الوسطى جزءاً من التراث المتنقل واستخدمت بصورة واسعة فى قصص الوعظ .

حكايات الحيوان الخرافية عند العرب[8]:

حكايات الحيوان العربية التى تدور حول شكل الحيوان أو طباعة . بعضها أصلى وبعضها قام العرب بنقله عن غيرهم .

أما الحكايات التى نعرفها ويمكن أن يقال أنها من أصل عربى فتكاد تكون كلها متصلة بأمثال ... ومثال ذلك القصص التى تدور حول ذنب الضب وأذن النعامة التى ذهبت تطلب قرنين فعادت مقطوعة الأذنين . كذلك : هناك طائفة من الخرافات العربية المتفرقة بعضها متصل بالأمثال كحكايات احتكام الضبع أو (الأرنب) والثعلب إلى الضب بسبب ثمرة وجدها الضبع فاختلسها الثعلب فأكلها . فتشاجرا ثم احتكما إلى الضب . وتتضمن الحكاية عدداً من الأجوبة التى صارت أمثالاً : مثل (فى بيته يؤتى الحكم) . ومنها حكايات تتضمن طباع الحيوان كتلك التى رواها "السدوسى" (ت١٩٥هـ فى كتاب الأمثال) عن حمق الضبع[9] والتى رواها "الجاحظ" فى كتابه "الحيوان ، والدميرى" فى حياة الحيوان أيضاً ، وهناك أيضاً حكايات الحيوان المقتبسة من كتب العهد القديم مثل "الحكايات المروية عن أمية بن أبى الصلت" .. كحكاية "الحمامة والغراب فى سفينة نوح والحكاية فى سفر التكوين" (اصحاح ٨ آية ٦_١٢)، وكذلك حكاية الغراب والديك التى تفسر لنا لماذا لا يطير الديك برغم

جناحية الكبيرين ولماذا يصيح دائماً قبيل الفجر وكذلك حكاية الهدهد الذى منحه نوح عرفه التاجى الجميل تقديراً لوفائه وبره بأمه التى ماتت فى السفينة أثناء الطوفان وغير ذلك كثير من الخرافات العربية التى رويت متفرقة فى الأدب العربى القديم(١٠).

أما فيما يتعلق بالخرافات الأدبية فإنها ترجع إلى كتاب "كليلة ودمنة" الذى ترجمه "ابن المقفع" والذى ظل مثلاً عالياً فى اسلوب الكتابة ونموذجاً لأكثر الذين كتبوا فى الخرافات ، وقد تبعه كثير من الأدباء وساروا على نهجه فى التأليف شعراً ونثراً حيث احتفظوا بطريقته فى إيراد القصص والعناية بالحكمة والموعظة والمغزى العام الذى يلازم الحكاية دائماً .

ومن الذين اقتفوا أثره من أدباء العصر العباسى "الفضل بن نوبخت الفارسى كما صاغها نظماً إبان بن عبد الحميد اللاحقى" وحاكاه فى ذلك شعراء آخرون منهم " على بن داود ، وبشر بن المعتمر" وغيرهما .

وقد نظم سهل بن هارون " كتاباً على مثال "كليلة ودمنة" سماه ثعلة وغفراء" صنفه للمأمون . وقد حاكى "على بن داود" بدوره "سهل بن هارون" فى كتاب له سماه "كتاب النمر والثعلب" ولكن لم يصلنا شئ من هذه المؤلفات إلا نحو سبعين بيتاً من نظم "إبان بن عبد الحميد نقلها الصولى فى كتابه الأوراق(١١) وقد توالى نظم لكتاب بعد ذلك فى عصور مختلفة ومن ذلك كتاب (نتائج الفطنة فى نظم كليلة ودمنة) سماه (الصادح والباغم).

ومن الكتب العربية الذائعة التى تأثرت بكليلة ودمنة الكتاب النثرى "سلوان المطاع فى عدوان الأتباع" لابن ظفر الصقلى (ت عام ٥٦٥هـ). وحكايات الحيوان فيها قليلة ويظهر فيها تأثير "كليلة ودمنة" وهنالك أيضاً كتاب "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء ، لابن عربشاه" (ت عام ٨٥٤هـ) . وهو ترجمة أدبية حرة لكتاب (مرزبان نامه) الذى دون فى الأصل باللهجة الطبرستانية فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) ثم ترجم بعد ذلك

إلـى الفارسية الحديثة فى القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى) وهو لابن عربشاه أيضاً ويبدو أن ابن عربشاه قد عمل هذين الكتـابين للسـلطان الظاهر "جقيمق" من مماليك برقوق. وكذلك أيضاً كتاب كشف الأسرار عـن حكـم الطيور والأزهار" للشيخ عز الدين بن عبـد السـلام (ت٦٧٨هـ) موعظة لأهل الاعتبار.

ولقد بقى بعد ذلك أن نشير إلى قصص الحيوان فى كتاب "ألف ليلـة وليلة" والتى يتضح فيها أثر القصاص المصرى وهذه القصص مثـل قصـة "الحمار والثور" وهى شبيهه بقصص "كليلة ودمنة" والباب الذى عنوانه "حكاية تتعلق بالطيور" وأن نشير أيضاً إلى ترجمة "محمد عثمان جـلال" (ت عـام ١٨٩٨م) لكثيـر مـن "خرافـات لافونتيـن" (١٦٢١_١٦٩٥) فـى كتابـه المعروف "العيون اليواقظ فى الحكم والأمثال والمواعظ" والذى نظمه شعـراً واستخدم الزجل فى بعض الحكايات وأضاف من عنده أشياء غير قليلـة . إذ أنه لم يتقيد بالأصل الفرنسى .

وقد جاء بعده (إبراهيم المعرب) فنظم كتاب خرافـات احتـذى فيـه "لافونتين" اسمه (آداب العرب) ثم جاء من بعده "أمير الشعراء أحمد شوقـى" الذى يعتبر خير من حاكى "لافونتين"فى العربية فى جميع خصائصه .

ويمكن أن يضاف إلى ذلك أن "لافونتين" قد اقتبس نحو عشرين حكاية من "كليلة ودمنة" عن ترجمة فارسية حرة لكتاب "حسين واعظ كاشفى" ، وإن كان "لافونتين" لم يأخذ من هذا الكتاب سوى مادة موضوعاته ثم تصرف على حسب مقتضيات فنه(١٢).

ب _ حكايات الجان :_

تعتبر صورة الجان فى المعتقد الشعبى غير تلك الواردة فى القـرآن الكريم فهى فى القرآن نوع من الخلائق بين الملائكة والشياطين. . خلقوا من

مارج من نار ، ولكنهم دون الملائكة لطافة جسم ، وذلك لأنهم يأكلون ويشربون ويتناسلون ويموتون ، ويحاسبون ويثابون وإليهم أرسل الأنبياء كما أرسلوا إلى البشر.. وقد كانوا أيام النبى _صلى الله عليه وسلم _ يجلسون من السماء حيث يريدون أن يسترقوا السمع إلى أخر تلك الصور القرآنية المفصلة(١٣).

هذا ويضيف المفسرون إلى أن الجن كانوا سكان الأرض قبل آدم وكان لهم ملوك كثيرون فأجلاهم إبليس إلى أطراف التخوم ثم جاء "طهمورث" أحد ملوك الفرس وحاربهم وحصرهم فى جبل قاف إلا أن المفسرين يزيدون على ذلك بسرد قصص شعبية تثبت وجودهم قبل الفرس وأهل الهند ومصر القديمة وغيرهم الذين سادهم الحكم الإسلامى وكانوا ذوى تراث عريق(١٤). أما فى المعتقد الشعبى فهم فى عالم خفى راسخ رسوخاً لا نظير له ، إنهم فى عالم تصاعدى مطبوع بالسلطة شأنهم شأن المجتمع البشرى الاقطاعى، إنهم كائنات غيبية شفافة لا تُرى إلا إذا تقمصت شكلاً من الأشكال المعروفة كالحيوان والإنسان ، كما أنهم يتخذون من باطن الأرض مسكناً لهم ، وشخوصهم تضاف إليها صفات الشذوذ فى الهيئة والمسكن والسلوك والصوت.

إن الجن عموماً يظهر فى شكل إناس أو وحوش أو حيات أو فراشات أو أزهار وأشجار .. إلخ . لكنهم أكثر ما يظهرون بشكل امرأة بشعة طويلة هزيلة الجسم مسترسلة الشعر أو بشكل رجال طويلة القامة ذوى أرجل نحاسية وأسنان نافرة وعيون مشقوقة . وقد يظهرون بشكل لسانات نارية وخاصة على القبور، كما أنهم قد لا يظهرون فى شكل أجساد مرئية فيسمع لهم أصوات وأكثر ما يكون ذلك فى الليل عندما يجتمعون فى حفلات أعراس أو مأكل أو نحو ذلك.

وأما المسكن فهو المغاور والبيوت المهجورة والمقابر والآبار وعيون الماء المهجورة والجافة منها بصورة خاصة والخرب النائية والشجرة العظيمة المنفردة وحول المواقد وتحت عتبات البيوت وعلى مجارى المياة ... إلخ .

أما السلوك فهم كالناس منهم الأشرار الذين يلحقون الاذى بالناس ومنهم الأخيار الصالحين الذين يساعدون الناس فى أعمالهم(١٥).

وما بين القرآن الكريم والمعتقد الشعبى نجد حكايات كثيرة .. حكايات مليودرامية.. لا تتضمن أية أفكار دينية ، وشخصياتها غير محددة الأسماء مجهولة لكنها تعرف بالألقاب مثل الملك والملكة بجانب أن هذه الشخصيات قد تكون أسماء لإنسان أو حيوان أو جماد... هذه الحكايات هى حكايات الجان .

*** مجال حكايات الجان :**

يتحدد مجال "حكايات الجان" تبعاً لأذواق السامعين.. فهناك حكايات تدور حول "الملك والملكة" وحكايات تدور حول "الأمير والأميرة" ، وغير ذلك إلا أنها جميعاً تتفق فى أن شخصياتها قد تكون أسماء لإنسان أو حيوان أو نبات أو جماد لكنها فى نفس الوقت تكون هذه الشخصيات قليلة العدد حيث لا نجد سوى البطل أو البطلة أو الشخصية الشريرة بجانب الشخصية المساعدة.

ففى البطل دائماً نجد الفضائل والمثاليات متوافرة.. نجده طيب القلب.. ماهر الحيلة وغالباً ما تكون هذه الصفات منذ بداية الحكاية وتظل معه حتى نهايتها اللهم إلا فى حالات يكون الهدف منها تربوياً كالتهذيب، وذلك عن طريق التحذير والتخويف والتشويق.. إلخ .

أما الشخصية الشريرة فهى غالباً ما تكون متمثلة فى أقارب البطل أو البطلة كزوجة الأب أو الأخت غير الشقيقة أو الأعمام أو الصديق غير الوفى.. وبالطبع فهى لا تحمل سوى رموز الشر مثل المردة والغيلان.. إلخ .

بينما الشخصية المساعدة فهى دائماً شخصية خيرة تظهر دائماً فى صورة متعددة.. فقد تكون حصاناً أو كبشاً ، وقد تكون ثعباناً أو كلباً أو قطة وقد تكون شجرة أو غير ذلك.. لكنها مع كل هذا تمتزج مع السحر كقوة مؤثرة ومساعدة..حيث تتميز بالقدرة على العمل والنطق ولها إرادة فيما تفعل.

هذا وتظهر الصفة "الميلودرامية" فى حكايات الجان فى أن البطل أو البطلة يكون فى أول الحكاية صغيراً منبوذاً محتقراً وقد يكون يتيماً وعليه فليقى المعاملة السيئة والقاسية من جانب الشخصية الشريرة ومن ثم يصعب عليه التغلب على ما يعانيه ، وهنا تظهر له الشخصية المساعدة لتعينه على تحقيق غايته التى دائماً ما تكون سعيدة وعليه ، فإن "حكايات الجان" بصفة عامة تتخذ شخصياتها فى كثير من الأحيان من الحيوانات والحشرات والطيور ومن الجن والعفاريت والشياطين ولعلها بهذا تعهد إلى إثارة الدهشة أو التخويف أو التشويق عند الأطفال حتى ولو كانت الشخصية إنساناً فلابد وأن يظهر فى تلك الصورة الرهيبة التى تحمل طابع الغرابة .

كل هذه الشخصيات شخصيات عاقلة لها إدراك وتفكير لأنها فى الواقع تؤدى دورها على أنه حقيقة والسبب فى ذلك أن حكايات "الجان" نشأت فى مرحلة "الطفولة الإنسانية" يوم كان الناس (يعتقدون أن الحيوانات والطيور والحشرات بل والاشجار والأحجار مخلوقات حية لديها القدرة على العمل والنطق ولها إرادة فيما تفعل)[١٦].

ثم أن حكاية الجان تتميز بأنها تقدم شخصية البطل في محيط أسرته تقديماً تجريدياً سريعاً معتمدة في ذلك على المفهومات الكلية لدى الإنسان الشعبي للجمال والقبح والفقر والغنى والصغر والكبر وما إلى ذلك وتصور حالة الأسرة على أنها تعاني من نقص شديد أو تهديد ، فقد تعاني من تهديد الفقر أو من سطوة زوجة الأب أو تعاني من نقص نتيجة لغياب أحد أفراد الأسرة .

وفي هذا الإطار يتحرك البطل الذي غالباً ما يكون صغيراً ضعيفاً لا حول له ولا قوة فيخرج ملبياً أمراً وقد يكون الأمر صريحاً كأن يؤمر بأن يذهب ليبحث عن شئ أو ليحضر شيئاً وقد يكون الأمر غريباً مجهولاً كأن يقابل الأبن الأصغر عجوزاً يضايقها فتدعو عليه .

وعلى كلٍ فإن البطل يقابل شخصية مهولة شريرة تختبره وتهادنه حتى يقع في أسرها ولا يفكه من هذا الأسر إلا مقابلته للشخصية المساعدة التي تقدم له العون في اللحظة الحرجة ثم تقدم له الأداة السحرية ، وعلى أثر هذا يتمكن البطل من التخلص من أذى القوى الشريرة كما يتمكن بواسطة الأداة السحرية من أن يصيب مالاً أو جاهاً أو كلاهما معاً وغالباً ما يحصل على كل هذا في مملكة غريبة يعلو فيها صيته فيتزوج البطل ابنة ملك هذه المملكة ويُحكّمْ عليها أو على نصفها أو تتزوج البطلة أمير هذه المملكة وتعيش معه سعيدة هنيئة[١٧]. ومن ثم فإن حكايات الجان تنتهي نهاية سعيدة لأنه كما يقول "الكسندر هجرتي كراب"{ لا يمكن التفكير في وجود "حكاية جنيات" بدون هذه النهاية السعيدة }[١٨]. أما إذا صادفتنا حكاية تنتهي نهاية مفجعة فإن ذلك يعني أن الحكاية تعرضت لنوع من الصقل الأدبي[١٩]هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن حكايات الجان بصفة عامة لا تتضمن إية أفكار دينية ولا أثراً لفلسفة مثالية أو غيرها .

ولعل المبدأ الفلسفى الوحيد كما يقول "كراب" الذى يظهر فى بعض الأنماط هو مبدأ القدر ..(فالقدر يثبت أنه أقوى من التدبير البشرى ومن القوى الإنسانية) [٢٠].

*** اتجاهات البحث فى حكايات الجان[٢١]:**

لقد اهتم كثير من الدارسين بالبحث فىنشأة حكايات الجان وأصلها "فجاكوب جريم" لاحظ "وجود أساطير قديمة فى حكايات الجان الأمر الذى جعل جامعو الفولكلور الألمان يرون أن حكايات الجان الألمانية نشأت من الأساطير الجرمانية وأخذت عنها ثم تطورت النظرة بعد ذلك لتكون الأسطورة الهندية الجرمانية هى أساس حكاية الجان .

أما الفولكلورى الفرنسى "توسكان" فيرد أصل حكاية الجان الأوروبية إلى الجذور الهندية ثم ذهب بعد ذلك إلى أن توسع القبائل المغولية وانتشارها من آسيا لأوروبا قد فتح الطريق أمام سلع ثقافية عديدة ، وبالطبع كان من بينها (حكايات الجان) .

أما جان دى فرير فرأى أن الإيرانيين الذين كانوا ينتمون مع الهنود إلى أصل لغوى وثقافى واحد يمكن اعتبارهم مركزاً غربياً أمامياً للهند ومن ثم يمكن التعرف بسهولة على الطريق الذى سلكته حكاية "الجان" عبر اليونان وبيزنطة إلا أن "الكسندر هجرتى كراب" يرى أن حكايات الجان هى نتاج العالم القديم حملتها إلى أندونسيا تيارات الثقافة الهندية والإسلامية وحملها العرب إلى شرق أفريقيا ونقلها المستوطنون الهولنديون إلى جنوبى أفريقيا ثم حملها المستعمرون الأوربيون إلى العالم الجديد ، ثم يقرر بعد ذلك أنه منذ وقت طويل قبل القرن التاسع عشر كان لحكايات الجان سحرها مما جعل من اليسير عليها فى حالات كثيرة أن تتغلغل فى أدب بعض البلدان مما أدى

إلى استقرارها بالتدوين منذ عدة قرون في بعض الأحيان وأن تُحفظ غالباً فى الشكل الذى كانت عليه فى تلك الفترة .

إلا أن هذا التدوين مر فى حياته بعدة أساليب منها الكلاسيكية ومنها الرومانسية ومنها الوضعية النقدية .

فالأسلوب الكلاسيكى ظهرت فيه البساطة والبدائية والتقليد فى صياغة الحكايات ومن مثال ذلك حكايات جريم وبيرو وموزادس والتى لاقت جميعها نقداً شديداً بسبب أسلوب المحاكاة الذى اتبعته ونتيجة لتغير روح العصر ظهرت الرومانسية وسادت أجواء تدوين الحكايات فتميزت بشئ من الفنية والتهذيب والإبداعية ومن مثال ذلك حكايات "هانزكريستيان" التى اتبعت أسلوب حكايات الجان الأصلية فكانت مثالاً للإتقان.. لكن سرعان ما خفت نجم الرومانسية وبرزت على السطح الوضعية النقدية التى صبغت القرن التاسع عشر بطابعها.. ومن ثم جاءت الأبحاث معتمدة على مجموعة من المناهج المختلفة والمتعارضة والتى شُغل بها الدارسون فتشعبت دراساتهم وحكموا على حكايات الجان تبعاً للمكان أو البيئة التى تروى فيها الحكاية وكذا الدور الذى تلعبه الحكايات بين الناس وأيضاً العلاقة بينها وبين الأساطير..الخ .

فعلى سبيل المثال يقرر بعض الدارسين أن محاولة استنتاج حقيقة اجتماعية من التفاصيل الخيالية لحكاية الجان كما فعل بعض الفولكلوريين تؤدى كلية إلى تضييع خصائص الحكاية .

إلا أن طومبسون يقرر فى النهاية أن مثل هذه الأمور شديدة الإبهام بحيث أن معظم الدارسين المحدثين قد كفوا عن محاولة البحث عن هذه الأمور..

وبعـــد :

فإنه مهما يكن من أمر فإن حكايات الجان أطلق عليها الباحثون أسماء كثيرة مختلفة منها "حكايات البيوت" ، حكايات العجائب ، الحكايات الخيالية ثم حكايات الجنيات لكنها رغم كل هذا التنوع فإن هذه الأسماء جائزة لأن النهاية واحدة والهدف واحد .

حكايات الجان عند العرب :

يزخر الأدب العربى بكثير من الحكايات التى تدور حول الجـــان ولا سيما ما هو موجود ومتناثر بين ثنايا الأساطير والسير العربية .

ففى "ألف ليلة وليلة" نجد العديد من القصص التى تدور حول ظهور الجان فى صورة إنسان أو حيوان.. ولعل أكثر الصور إنتشاراً صورة الحية.. فالجـــان الخير يظهر فى صورة حية بيضاء والجن الشرير يظهر فى صـــورة أفعـــى سوداء ويدور الصراع بينها ليتدخل البطل فى النهاية وينقذ الحية البيضاء بقتل الأفعى السوداء... هذا وقد آمن العرب القدماء بإمكان حدوث الـــزواج بيـــن الإنس والجن ووقوع الحب بينها.. وتدلنا على ذلك حكايات كثيرة ، (فقد روى عن رجل أنه سافر فجاء جنى إلى زوجته فى زيه فلما جاء قال له لـــك ليلـــة ولى ليله وإلا قتلتك فإنى أحبها فاتفقا على ذلك)[٢٢].

وروى أيضاً أن (جعفر بن أبى جعفر المنصور كان يتعشق امــــرأة من الجن حتى كثر ولعه بذلك فصار يصرخ فى النوم مرات ومـــرات حتـــى مات) [٢٣].

كما (زعمت أعراب بنى مرة ـ أن سنان بن أبى حارثـــة لمـــا هـــام استفحلته الجن تطلب كرم نجله) [٢٤]. وأيضاً يروى (أن الهدهاء بن شرحبيـــل

مـــلك اليمن تزوج ابنة ملك الجن فولدت له بلقيس) (٢٥). وفى "ألف ليلة وليلة" تقابلنا صورة من صورة فى حكاية التاجر والعفريت فى قصة التاجر والكلبين إذ تعشقه جنية فتظهر له على صورة إنسية فقيرة يعطف عليها ويتزوجها ثـم تنقذه من الموت ومن كيد أخوته ، وكذا أيضاًحكايتي حاســب كريـم الديــن وحسن الصائغ البصرى(٢٦). أما فى الفهرست(٢٧) فيجئ "ابن النديـــم" ببـــاب كامل عن عشاق الإنس والجن عنوانه "أسماء عشاق الإنس والجن وعشـــاق الجــن والإنس"وذكر فيه من الكتب المؤلفة(كتاب رعــــد والربـــاب، كتـــاب رافـــاعة العيسى وسكر ، وكتاب سمسع وقمـــع ، وكتـــاب نـــاعم بـــن درام ورحيمة وشيطان السكان) وهكذا إلى أن وصل عدد هذه الكتب ســـتة عشـــر كتاباً .

وهكذا فى غيرها من كثير من السير الشعبية العربية المختلفة أما "أبو قاسم الأصبهانى" فقد ذكر فى محاضرات الأدباء أن العـــرب زعمـــت أن الله تعالـــى لما أهلك الأمة الساكنة (ولوبار) كما أهلك "طسماً وجديســـــاً وعـــاداً وثموداً" سكنت الجن منازلهم وحمتها من كل من أرادها وأنها أخصب بلد(٢٨).

وبالطبع هذا يدلنا على تراثية المعتقد الشعبى فى الأماكن التى يسكنها الجن والذى أخذ من هذه الروايات القديمة .

إلا أننا عندما نبحث فى سبب ظهور هذا المعتقد لدى العرب وانتشار الحكايات حوله فى الأدب الشعبى العربى نجد أن ذلك { نتيجة إنعكاس لأحلام قديمة لتطلعات الفرد العربى فى تخلصه من بعض العوامـــل التـــى تعـــوق حـــصوله على ما يريد من مجد وسؤدد ، فاستطاعة الإنس الحصول علــــى ابنة العالم المجهول تطابق ما نجده فى سيرة عنترة مـــن مغـــامرات مثـــيرة للـــحصول على النوق العصافير والتغلب على أشهر فرسان الجزيرة العربية

وأعتاهم حتى تكون جائزته آخر الأمر ابنة عمه "عبلة" التى لا تمثـل الحسب فقط بل تمثل تحقيق معنى الأخلاص من الرق ومعنى التغلب على عقدة اللون ومعنى فك اسار الفارس العربى من قيود الطبقية المخيفة القاتلة التى تحكمت فى مصائر الفرد العربى طوال العصر الجاهلى }[٢٩]

(ج) حكايات الخوارق :

بداية تحمل كلمة خوارق فى معاجم اللغة[٣٠] معنى الكذب والدهشـة والتحير .. ففى لسان العرب والمعجم الوسيط نجد أن (خرق ـ تخرق) لغـة فى التخلق من الكذب ، وخرق الكذب وتخرقه وخرقه كله اختلقه . قال تعالى " وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه" قال الفراء معنى خرقوا : افتعلـوا ذلك كذباً وكفراً وقال : وخرقوا وخلقوا واحد . قال ابـن الـهيثم الاخـتراق والاختلاف والاختراص والافتراء اذ ابتدعها كذباً ، وتخرق الكذب وتخلّقه.

كما أننا فى المعجم الوسيط نجد أيضاً خرق أى دهش وتحير.. ففـى حديث تزويج فاطمة.. فلما أصبح دعاها فجاءت خرقة من الحياء".. ويقـال خرق الظبى، خرق الطائر أى دهش ولصق بالأرض إذا رأى الصـائد فلـم يقدر على النهوض ولا الطيران من الخوف .

أما الشئ الخارق عند المتكلمين فهو ما خالف العادة وهو معجـز إن قارن التحدى وعليه فإن "حكايات الخوارق" هى عبارة عـن كـل الأشيـاء الـغريبة المعجزة والمخالفة للعادة .. هى تلك التى تحمل الدهشة والتحير عند المستمع لها من منطلق الأكاذيب المختلقة التى تسردها بصفة عامـة.. إنـها شكل تاريخى اعتراه الخلط والغموض نتيجة للأكـاذيب والإفـتراءات التـى اضيفت إليها عبر تاريخ البشرية .

* مجال حكايات الخوارق(٣١):

مما سبق يمكن القول أن هذا الشكل من الحكايات يقصد بـــه روايـــة الأحداث الغير عادية التى يعتقد أنها وقعت فى فترات زمنية سابقة كالزلازل والبراكين والطوفان وبناء المدن وهدمها.. الخ .

ومن ثم فإنها تدور حول التاريخ (حوادث وشخصيات) لكنها فى نفس الوقت مغلوطة أو قد لا يكون لها أساس من الصحة أو أنـــها رويـت عـن أشخاص فى أماكن بعيدة كذكريات من كانوا قبل شخصيات تاريخيـــة لكنـــها غالباً ما تكون خيالية إلا أن هناك صعوبة تواجه الدارسين لهذا النـــوع مـــن الحكايات ألا وهى متى ينتهى التاريخ ومتى يبدأ الاختلاف ؟

وفى هذه الحالة فإننا إذا لم نكن نملك مصدراً خارجيـــاً لاســـتخدامه كمحك فإن تمييز العنصر التاريخى فيها يكون موضوعاً فى غاية الصعوبـــة. وفى مثل هذه الحالة تنبع الحاجة إلى الكشوف الأثرية إذ أنه يستحيل بغير هذه الكشوف فى بعض الحالات أن تعزل تاريخياً عناصر الحقائق الفعليـــة عـــن زخرف الاختلاف الذى تجمع حولها.

ومن ناحية أخرى فإن "حكايات الخوارق" تتحدث عن مثال وقع مـــع الكائنات الغريبة التى تعيش فى الاعتقاد الشعبى مثل : "الغول والمارد" ومـــا شابه ذلك ، إلا أنه يجب الملاحظة أن "حكايات الخوارق"تحمل بيـــن طياتـــها بعض عناصر انتقلت إليها من "حكايات الجان".

ومن بين الكائنات نجد :

(أ) الغول :

وهذا كائن غريب.. خارق للعادة.. رهيب فى صفاته كما تتخيله العقلية الشعبية جاء الاسم من (غاله أى أهلكه وأخذه حيث لم يدر ، والغول المنية، واغتاله قتله غيلة . وهو أن يخدع الإنسان حتى يصير إلى مكان قد استخفى له فيه من يقتله ، وكل ما أهلك الإنسان فهو غول ، والغول كل شئ ذهب بالعقل ، والغول الداهية ، وتغول الأمر.. تناكر وتشابه ، والغول السعلاة والجمع أغوال وغيلان ، والتغول : التلون ، تغولتهم الغول توهوا)[٣٢].

وعليه ، فالغول كائن لا وجود له فى عالم الحقيقة والواقع.. رغم أن عرب الجاهلية كانوا يعتقدون فى وجوده مما حدا بالرسول _ صلى الله عليه وسلم _ يقول : (لا عدوى ولا طيره ولا غول) [٣٣]. ويقول أيضاً { وإذا تغولت لكم الغيلان فبادروا بالآذان }[٣٤] والشاعر أيضاً يقول[٣٥] :

"الغول والخل والعنقاء" ثلاثة ... أسماء لم توجد ولم تكن.

أما عمر بن الخطاب فيروى عن أنه رأى (الغول) فى سفره إلى الشام فضربه بالسيف[٣٦] أما الصورة التى رسمها الذهن الشعبى القديم للغول فقد تجلت بصورة واضحة فى وصف تأبط شراً للغول التى صادفها فى الفلاة وقتلها حيث يقول[٣٧]:

ألا من مبلغ فتيان فهم ... بما لاقيت عند رحى بطان

وأنى قد لاقيت الغول تهوى ... بشهب[٣٨] كالصحيفة صحصحان[٣٩]

فقلت لها كلانا نضو أين[٤٠] ... أخو سفر فخلى لى مكانى

فشدت شــدة نحــوى فــأهوى ... لــها كفــى بمصقـــول يمـــانى

فأضربـــها بلادهـــش فخـــرت ... صريعـــاً لليديـــن وللجـــــران[٤١]

فقالت : عد فقلت لها : رويداً ... مكـــانك إننـــى ثبـــت الجنـــان

فلـــم أنفـــك متكئـــاً عليـــــها ... لأنظـــر مصبحـــاً مـــاذا أتـــانى

إذا عينـــان فـــى رأس قبيـــح ... كـــرأس الـــهر مشقـــوق اللســـان

وساقامخدج[٤٢]وشواة[٤٣] كلب ... وثوب من عبـــاء أو شنـــــان[٤٤]

هذا ويستطيع الغول بسحره أن يتشكل على الصورة التى يريدها وأن يتخذ الإطار الخارجى الذى يناسبه فمرة على صورة إنسان ومرة على صورة حيوان ومرة على صورة جماد وهكذا.

وقد حكى صاحب الأغانى أن (تأبط شراً) رأى كبشاً فى الصحـــــراء فاحتمله تحت إبطه فجعل يبول عليه طوال طريقه فلما قرب من الحـــى ثقـــل عليه الكبش فرمى به فإذا هو الغول[٤٥].

*** المارد :**

تعنى كلمة "المارد" فى اللغة "العاتى"[٤٦] وهذا المعنى له صفات منها أنه يمتلك حاسة شم قوية وأنه ضخم قوى لدرجة أن الزوابع والعواصف تثور حينمـــا يقبل. وقد صنف الجاحظ "المارد" كنوع من أنواع الجن فقال (الجـــن إذا كفـــر وظلم وتعدى وأفسد فهو شيطان وان قوى على البنيـــان والحمـــل الثقيل وعلى استراق السمع فهو مارد وإن زاد فهو عفريـــت وإن زاد فـــهو عبقرى[٤٧].

وبعد ..

فإن حكايات الخوارق بصفة عامة من ناحية الشكـــل هـــى حكايـــات بسيطة فى بنائها ولا تشتمل فى العادة على أكثر من جزئية قصصية .

أما من حيث المضمون فإنها تنقسم إلى ثلاثة أنواع :

(أ) حكايات تدور حول الشخصيات التاريخية أو الملفقة(٤٨).

(ب) حكايات الكائنات الخارقة مثـــل " الغــول والمــارد والجــن والأقــزام والأشباح.. الخ ".

(ج) حكايات مفسره تتصل بالخلق أو النشأة وبالطبع هذه تكون قريبـــة مـــن الأسطورة.

ولذلك يتفق الدارسون على أنه يجب تناول حكايات الخوارق بحســـب ما تقضيته وليس باعتبارها لغزا يوارى بعض المعانى الخفية(٤٩).

*** حكايات الخوارق عند العرب (٥٠):**

يزخر الأدب العربى بكثير من حكايات الخـــوارق علـــى اختـــلاف مجالاتها.. فبالنسبة للحكايات الملفقة نجد أنها ازدهرت فى القرن التاسع فـــى "البصرة وفى بغداد" على وجه الخصوص ومن بينها حكايات ملفقة ارتبطـــت برحلة (تميم الدارى) اسمها رحلة "بحر الشام" "البحر المتوسط" حيث قذفـــت به عاصفة هو وصحبه إلى جزيرة مهجورة فرأوا فيها رأى العيـــن الدجـــال مقيداً ورأوا أيضاً الجساوسة الذين سيظهرون فى آخر الزمان .

وقد نالت هذه القصة المختلقة انتشاراً كبيراً فـــى العـــالم الإســـلامى واكتسبت فيما بعد شكلاً مغايراً لا يرد فيه أى ذكر لرحلة بحرية بل يقـــال أن الـــجن اختطف تميماً من داره بالمدينة وطار به فوق بـــلاد غـــير معروفـــة تسكنها مخلوقات غريبة وفى نهاية مطافه يصحبه أحد الملائكة علـــى متـــن السحاب إلى منزله.

وقد ذاعت هذه الحكاية بصورة واسعة فى التراث الشعبى بل عرفت أيضاً فى ترجمات قديمة العهد بالتركية والملاوية والاسبانية.

ومن بين هذه الحكايات أيضاً ما يروى عن زيارة "عبادة بن الصامت" فى عام ٦٣٢م للرقيم الذى يرقد فيه أهل الكهف على مقربة من "القسطنطينية" وهى قصة ملفقة كسابقتها وخلاصتها تقول : أن "عبادة" بعث به "أبو بكر" إلى ملك الروم وبالقرب من القسطنطينية رأت البعثة جبلاً أحمراً قيل فيه أصحاب الكهف ثم دخلوا سرداباً فى الجبل فرأوا أصحاب الكهف "ثلاثة عشر رجلاً مضطجعين على ظهورهم".

وفى الحكاية وصف مفصل لهيئتهم ولباسهم واحتفال القوم بهم فى عيد لهم ومن الحكاية التى ترتبط بكهف الرقيم أيضاً ما يروى عن رحلة "محمد بن موسى الرياضى" الشهيرة فى عهد "الخليفة الواثق" ، ورحلة ثانية شارك فيها "محمد بن موسى" ذهبت إلى طرخان حاكم الخزز وهى ترتبط برحلة سلام الترجمان المشهورة إلى "سد يأجوج ومأجوج" وكانت بأمر الخليفة أيضاً والدافع إليها دافع خيالى... فقد تراءى للخليفة فى المنام كأنما انفتح السد الذى بناه الاسكندر ذو القرنين ليحول دون تسرب "يأجوج ومأجوج" .

ومن الحكايات الشهيرة أيضاً ما يروى عن رحلات "أبو دلف الخزرجى" العديدة ومنها ما يروى عن رحلته من بخارى بصحبة سفارة قدمت من الصين حوالى عام ٩٤٢م . وقد عبر "ابو دلف" تركستان والتبت ودخل الصين من طريق غير معروف ثم غادرها إلى الهند وعاد إلى بلاد الإسلام عن طريق سجستان .

والرويات التاريخية عن اقتحام العرب للمحيط الأطلنطى (بحر الظلمات) كما كانوا يسمونه متعددة متواترة .. "فقد روى المسعودى" خبر احدى مغامراتهم

فـــى بحر الظلمات التى قام بها الأندلسى الذى يقال لـــه ، (خشخـــاش) مـــن قرطبة وأنه ذهب مع جماعة من أحداثها وغاب مدة ثم أنثنى بغنائم واســـعة ، لكن الروايات على الرغم من كثرتها فى عالم الواقع والتاريخ إلا أنـــها عـــن العالم الآخر تعد أكثر وأشهر. . فقصة "الإسراء والمعراج" وما تجمع حولـــها من تراث تردد صداه فى أنحاء مختلفة لا يمكن أن يمر دون ذكر بعضاً منه.. ولـــننظر إلى رسالة "الغفران لأبى العـــلاء المعـــرى".. ورســـالة "التوابـــع والزوابع لابن شهيد الأندلسى" وما ورد على لسان "ابن رشد وابن سينا" فـــى مؤلفاتهما و"الفارابى" فى آرائه... كل ذلك يدل بصـــدق علـــى أن الـــتراث العربى ملئ بحكايات الخوارق.. وهذا بالطبع من ناحيـــة حكايـــات التـــاريخ الملفقة .

أما من ناحية "الكائنات الغيبية" وحكاياتها "الخارقة". فإن كتب التراث الـــعربية مليئة بذخائر عجيبة ومن مثل ذلك ما آمن به العرب وما اعتقـــدوه من وجود نيران الغيلان.. وتلونها بصورة مختلفة.

"فالدميرى" يقول : (إذا أردت أن تقتل إنساناً أوقدت نـــاراً فيقصدهـــا فتفعل به ذلك).

أما الجاحظ فقد ذكر نار الغول فى حديثه عن أنواع النـــيران فقـــال: (ونار أخرى هى النار التى تذكر الأعراب أن الغول توقدهـــا ليـــلاً للعبـــث والتخيل وإضلال السابلة).

كما ذكر الجاحظ شعراً "لأبى المطحاب عبيد بن أيوب العنبرى" يذكر فيها نار الغول وهى:

فـــالله رد الغــول أى رفيقـــه — لصاحب قفر خـــائف مقتـــتر
أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت — حوالى نيراناً تبوح وتزهــــر

كما أنه لا يغيب عنا ما ذكره صاحب الأغانى عما رآه (تأبط شراً) من حكايـــة الكبش الذى وجده غولاً.

هذا وقد نسب العرب القدماء للغول صفة التلون ، ففى المســـتطرف نجد أن الغول يتغول فى الخلوات فى صور متنوعة وفى حياة الحيوان نـــرى أن العرب تزعم أن الغيلان فى الفلوات وهى جنس من الشيطـــان تـــتراءى للناس وتتغول تغولاً أى تتلون تلوناً فتضلهم وتهلكهم ، ويروى لنا الدمـــيرى أيضاً حكاية تظهر فيها الغول على هيئة سنور تأكل التمر ذلك أن "أبا أيـــوب الأنصارى" قال : (كانت لى سهوة فيها تمر فكانت تجئ الغول كهيئة الســنور فتأخذ منه).

ويزعم العرب أنه إذا إنفرد الرجل فى الصحراء ظهرت له الغول فى خلقة الإنسان فلا يزال يتبعها حتى يضل عن الطريق ، فتدنو منه وتتمثل لـــه فى صورة مختلفة فتهلكه رعباً.

وقد تتصور الغول فى صورة امرأة.. وهنا يزعم الحكم بـــن عمـــر البهرانى أنه تزوجها بقوله:

وتزوجت فى الشبيبة غـــولاً — بغزال وصدقتى زق خمـــر
ثيب إن هويت ذلك منهـــا — ومتى شئت لم أجد غير بكـــر

أما المجال الثالث لحكايات "الخوارق" فنجده متنوع ومتفـــرق فىكـــل مكان حيث أن بعضها موجود فى كتب التفسير وبعضـــها فـــى كتـــب الفقـــه

وبعضها فى كتب المتكلمين والفلاسفة.. ومما لا شك فيه أن قصة "حى بن يقظان" التى كتبها "ابن طفيل الأندلسى" تعد معلماً بارزاً من المعالم القصصية والفلسفية فى آن واحد.

وهكذا ومن خلال ما سبق نجد أن الأدب العربى ملئ بالتراث الخارق الذى يوضح بجلاء أسبقية واستقلالية الأدب العربى عن بقية الآداب الأخرى فى إنتاجه القصصى بجانب ما اشتهر به فى جانب الشعر.

*** ما بين المفهوم والمصطلح :**

سبق أن أوضحنا المفاهيم التى تحملها الحكايات الشعبية السابقة _{ حيوان خرافية _ جان _ خوارق } _ ثم أوضحنا المجالات التى يدور فيها كل نوع منها ، إلا أنه رغم ذلك فإن المفاهيم تداخلت فيها المصطلحات وأصبح المصطلح يطلق على نوع غير النوع المقصود ولعل السبب فى هذا يرجع إلىأن هذه الأنواع انتشرت فى الأقطار العربية تحت مسميات متقاربة أو تصنيف شعبى متقارب لما تحمله جميعها من مضامين واحدة .

_ ففى مصر :

نجد الحدوته الشعبية التى هى صورة صادقة لإدراك الانسانية فى طفولتها الأولى ثم صورة ملائمة لنزعة الطفولة ولا شك أنها تربوياً (تنشئ الطفل علي الحب والاحترام وتقدير المعروف وإيثاره حيث أن الطفل فى هذه السن يحس ويتحرك معها نفسياً)[٥١] ثم أنها دائماً مرددة عند النساء العجائز خاصة[٥٢] ومن ثم فالحكاية الشعبية بالنسبة لها صورة اجتماعية أكمل وأشمل وأن موضوعها أوسع وأشمل نطاقاً وأرحب مجالاً. وهذا ما نجده فى بلاد الشام تحت اسم "الحتوته"[٥٣].

أما فى **الجزيرة العربية** فنجد رغم اتساع المساحة تطلق كلمة (سالفة) على الحادثة الماضية التى سلفت وانتهت بينما اسم (سبحونة) فهو اسم مشتق من مطلع الأسطورة ومبتدأها الذى يبدأ غالباً بذكر الله وتمجيده وتسبيحه ومن هذا الافتتاح اشتقت التسمية(٥٤).

وفى **قطر** ونظراً لضيق مساحتها فإنه لا يوجد فاصل كبير بين البادية والمدينة والقرية فما يحكى فى البادية ينتقل إلى الحاضرة ويجد هوى فى نفوس أهل المدن والقرى ومن ثم فإن الرجال يجتمعون فى مجلسهم ليقصوا القصص (ويسوّلفون بالسوالف) _ على حد تعبيرهم _ أما النسوة فإن الأطفال دائماً يطلبون منهن الحزاوى وبالطبع تدور السوالف حول الماضى بصفة عامة وما حوله من رحلات ومغامرات... بينما الحزاوى تدور حول الاسرة وما يدور حولها من أمور يهدف منها التعليم والتربية للصغار عامة..(٥٥).

وفى **الكويت** نجد الحزايات وهى حكايات العجائز التى تروى للأطفال أو الكبار للتوعية بأحداث الزمان لذا يغلب عليها طابع الحكايات الوعظية بينما نجد السوالف التى هى رواية شئ حدث من قبل مما سلف وتقدم من أمر أو خبر، أى أنها رواية لمعلومة معروفة لها وجود واقعى .

وعليه، فالحزاية هى حكاية شعبية تجمع فى مكوناتها وصوغها عناصر من الموروث الثقافى مع عناصر من الواقع وعناصر من الأسطورة وعناصر من الخيال.. الخ، أما السوالف فهى حدث له وجود فى زمن قريب قد يكون الراوى نفسه هو شاهدها أو بطلها ومنهم من يكون قد مات أو ما يزال على قيد الحياة(٥٦).

أما فى **الإمارات** فنجد نفس المضمون يحمل معنى الخرّوفه والسالفه، وفى تونس يقولون فى الريف (خرف لى خروفه) أما فى المدينة فيقولون

أحكي لي حكاية وهذا ما يحمله نفس المعنى في المغرب(٥٧). وفي العراق نجد السالفة أو الحجاية (٥٨). وفي بعض مناطق السودان نجد الحجوه: وجمعها الأحاجي.. (٥٩). وغير ذلك كثير في باقي البلاد العربية يحمل نفس المضامين الأمر الذي يجعلنا نقر هذه الحقيقة.. أما المضامين التي تحملها هذه المسميات فهي أن هذا النوع من الحكايات:-

١ - ذات خيال ساذج مغرق في الغرابة وموغل في الخوارق والتهاويل وهي بهذا تعتبرصورة صادقة لإدراك الإنسانية في طفولتها الأولى ثم هي أيضاً بهذا تكون صورة ملائمة لنزعة الطفولة وإدراكها على مدى الزمن.

٢ - لها هدف تربوي قامت ومازالت تقوم به ألا وهو التهذيب ، وذلك عن طريق التحذير والتخويف وبالطبع هذا أجدى تربوياً من وسائل الضرب والزجر التي تغرس في نفس الطفل البغض والنفور وإليها يرجع الفضل في تماسك الأسرة وترابطها.. فهي تنشئ الطفل على حب الأم واحترام الأب وتقدير الأخوة وإيثارهم .

٣ - تتحدث إلي الأبناء عن الأباء والأمهات وعن كل ما يجرى في نطاق الأسرة ومالها من أوضاع وارتباطات فتذكر زوجة الأب التي لا ترحم وما يكون بين الضرة وضرتها من مكايدات.. على أنها توجه الحديث في كل هذا إلى الخير دائماً أما الشر فعاقبته الشر والبوار .

٤ - كل شئ فيها يتكلم.. الحيوانات والأفاعي والطيور ، وكذلك الأشجار والأحجار والأعاصير حتى الجن الذي لا يُرى والمارد الذي هو من صنع الخيال وبالتالي فهي عاقلة لها إدراك وتفكير.

٥ - تجرى فى أدائها أسلوبها على نسق تربوى رائع.. فهى فى دور الطفولة تتحدث إلى الأطفال بصيغة الجمع أى إلى الأولاد والبنات معاً ، وتكون فـــى صورة بسيطة ملائمة لإدراك الأطفال فى الفترة الأولى من حياتـــهم فيكـــون قـــوامها حادثه قصيرة ولا يزيد أبطالها عن شخصيتين أو ثلاثـــة أمـــا فـــى مرحلة النضج فإنها تتحدث حديثاً خاصاً إلى كل من البنات والأولاد بمعنـــى أنـــها تتحدث إلى الأولاد بما يلائمهم وإلى البنات بما يلائمهن ثم أنها تتســـع فى نطاقها فيطول فيها السرد القصصى ويتعدد فيها الأبطال .

٦ _ يكون البطل فيها من جنس مخيف أو قوة خارقة مثل الوحـــش والجـــن والعفاريت حتى إذا كانت إنساناً فلابد وأن يظهر فى تلك الصور الرهيبة التى تحمل طابع الغرابة والمبالغة فى التخويف والترهيب مثل امنا الغولـــه وأبـــو رجل مسلوخة .. إلخ .

٧ - لها فى أدائها تقاليد معروفة فى المجتمع فإذا كانت الجـــدة أو الأم مثـــلاً تتحدث إلى صغيرها فإنها لا تبدأ بوقائع الحكاية بل تبدأ بتهيئة الذهن بعبـــارة مشوقة مثل "حدوته بالزيت ملتوته تحب تاكلها ولاّ تسمعها" فيقـــول الصغـــير أسمعها ثم تمضى فى السرد إلى أن تنتهى فتختتم مثلاً "توته توتـــه خلصـــت الحدوته .. حلوه ولاّ ملتوته".

٨ - تتسم بالسذاجة وعدم الصقل وان استعملت فى الصيغة عبارات مسجوعة مشهورة تصلح لكل شخصية متشابهة أو موقف متشابهة ، والبطـــل فيـــها لا يقوم بالحدث الخارق بنفسه ، وإنما يعتمد على خـــارق يكســـب وده بجميـــل يصنعه.

٩ - تحمل الاعتقاد فى وجود كائنات فوق الطبيعة مثل الجن والغول والنداهة وما لها من تأثير على بعض الناس مثل إصابتهم بالأمراض أو الزواج منـــهم

أو يلبسونهم ولا يخرجون إلا بحفلات الزار... كما تحمل من الاعتقاد ما ينبئ عـن وقت ظهور هذه الكائنات والذى غالباً يكون عند منتصف الليل حيـث فى هذا الوقت تموت الأشياء وتهيمن روح الصمت والسكون وبالتالى تنشأ المراهنات بين الناس حول من لا يستطيع السير ليلاً فى منطقة مـا كمكـان مظلم أو أمام مقبرة أو غير ذلك .

*** وبعد . .**

فلتكن هذه المصطلحات كما توارثها الناس وتداولوها وانتشرت بينهم مصطلحات فولكلورية.. لكن فى نفس الوقت تظل المصطلحات العلمية علـى حقيقها متناسبة مع مفاهيمها حتى يكون للأدب الشعبى العربى استقلالية وبعده عـن التبعية المترجمة له والتى انسحبت وراءها درساتنا الشعبية فـالتصقت بها مفاهيم غير واضحة . وليكن الأمر فى الأدب العربى هو ذاته كمثل الأمر فى البيئة والمناخ .. فمناخ وبيئة المنطقة العربية يختلف عـن منـاخ وبيئـة المنطقة غير العربية وكذا أيضاً اللغة والعادات والتقاليد فى كل منطقة يختلف عن الأخرى.

حقيقة هناك تأثير وتأثير لكن ليس معنى هذا ضياع الهوية واندثار القيمة ومن ثـم فالتراث العربى هو تراث حضارة قديمة الأزل وليس مـن السـهل أن يمحى بهذه الطريقة الآنية.

الفصـــل الثـــانى

الحكايات التنبوئية والدينية والاجتماعية

أ- الحكايات التنبوئية (٦٠):

يقول ابن منظور فى لسان العرب "تنبأ الرجل..ادعى النبوة..،..استنبأ النبأ..بحث عنه..والملاحظ فى كلمتى "ادعى"، "بحث" هو أن الادعاء يحمل معنى الكذب والافتراء..والبحث يحمل معنى الكشف عما هو مستور فى عالم الغيب، ونحن لو حاولنا الوقوف أمام ادعاءات العرافين والكهنة والسحرة لوجدنا أنها كلها كذب وافتراء ذلك لأنهم يحاولون استكشاف أمور الغيب التى اختص بها الله لنفسه وحجبها عن الإنسان بل وحد له حدوداً يقف عندها ولا يتعداها يقول عز وجل: (٦١) (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً). ويقول(٦٢) (يسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) ويقول(٦٣) (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا)، أما الموروث الدينى فقد مس هذه القضية مساً مباشراً بقوله "كذب المنجمون ولو صدقوا".

لكن رغم ذلك فقد جُبِلَ الناس على حب الاستطلاع والتشوق لمعرفة ما يخبئه لهم القدر، ولذلك فهم يتلمسون كل السبل للتنبوء بالغيب حتى انتشرت الوسائل المتعلقة بها، وتنوعت تلك الوسائل ما بين التنجيم وقراءة الرمل واستنطاق الودع وضرب المندل والاستخارة بالرؤية وبالقرآن الكريم وتحضير الأرواح وتسخير الجن..الخ. وقد حاول الناس بها أن يلهثوا وراء المجهول فى كل ما يرضيهم أو يطمئنهم على المستقبل أو ينذرهم من ويلاته أو يحضهم على اتيان فعل علاجى أو وقائى..لكن من ناحية أخرى نجد ظاهرة يعتبرها علماء النفس صاحبة دور كبير فى المعرفة البشرية ألا وهى ظاهرة الالهام..

وعليه..فإن عملية التنبوء ومحاولة استطلاع الغيب تحتل موقعاً هاماً فى التراث الشعبى لما تحمله من ثراء فى الوسائل التى تستخدمها ولما تحمله

من معتقدات دأب المجتمع على ممارستها بصفة دائمة وبالتالى برزت على سطح القصص الشعبى معلنه عن تأصيل تراثى زاخر..اعتبرت على أساسه الحكاية التنبوئيه أنها حكاية معتقدات.

*** مجال الحكايات التنبوئية:**

ولما كانت الحكاية التنبوئية هى حكاية المعتقدات السائدة بين الناس، لذا فإنها تنحصر فى التنجيم وقراءة الرمل واستنطاق الودع وضرب المندل والاستخارة بالرؤية وبالقرآن الكريم وتحضير الأرواح والسحر وتفسير الأحلام والإلهام والتنجيم، وبما أن الإنسان قد أعطى فى حياته دوراً مهماً للنجوم والكواكب بالإضافة إلى أنها تهديه لمكانه وتحدد له وقته فيحسب بها مواقيت ظهورها وسيرها ومواعيد الزراعة وتساعده على تفسير ظواهر الطبيعة من رياح وأمطار وبرد وحر، لذا فإنها أيضاً تساعده على الربط بينها وبين مصير الإنسان فكانت عبارة عن تفسير لما يواجه الإنسان من سعادة وشقاء، ولذا سمى المتتبع لحركة النجوم والكواكب بالمنجم واقترنت مهمته فى بعض الحضارات بالدين ومن ثم كان عمله جزءاً من عمل الكاهن.

هذا وتنحصر أعمال المنجم غالباً فى معرفة أسباب الأمراض والبحث عن الوسائل العلاجية لها ومعرفة ما ينبئ عن نجاح أو رسوب الإنسان فى حياته العملية أو معرفة أسباب مشكلات الزواج وعلاجها وطرق الوقاية منها..ألخ.

* <u>قراءة الرمل:</u>

وإذا كان التنجيم هو قراءة النجوم فى المجتمعات الزراعية القديمة المتقدمة فإن المجتمعات الأولية الصحراوية قد تأملت فى الأرض وفى الرمل بالذات وأصبحت قراءته عملية معقدة أوجدتها البيئة الصحراوية التى لا تحسن القراءة والكتابة. فلم يعرف عن بيئة أنها عرفت التنجيم وكانت أمية اذ لابد من قدر المعرفة فى محيط الإنسان.

إذاً فتأمل السماء يحتاج إلى قدر كبير من تـأمل الأرض والمرحلة الأولـى هى قراءة الرمل لتأتى بعدها المرحلة الثانية وهى قراءة النجوم، وإذا كان قارئ النجم يسمى منجماً فإن قارئ الرمل يسمى رمالاً.

* استنطاق الودع:

وهذا منتشر انتشر قراءة الرمل حيث يستخدم لاسـتكشاف خطـوط المستقبل حول الزواج ومكان الإقامة والعمل والإنجاب..الخ.

* تحضير الأرواح:

ولما كان التنجيم وقراءة الرمل واستنطاق الودع من وسائل استطلاع الغيب فإن تحضير الأرواح أيضاً يعتبر وسيلة من أهم الوسائل فى هذا الصدد فأرواح الموتى كما يذهب المعتقد الشعبـى هـى وسـيط يعـرف الغيبـات والمفقودات إلا أن الدين والعلم يرفضان هذا رفضاً تاماً.

قال الله تعالى: (وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع مـن يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور إن أنت إلا نذير)(٦٤).

أما العلم فيرى أن الأرواح لا تحضر وانما الذى يحضـر ويتقمـص الشخصية هو الجن أو القرين..أنه الجن الملازم للإنسان طوال حياته وبعـد موته بحكم الله..فالجن معمر حيث يعيش أكثر من ألف سـنة، وهـو بحكـم ملازمته للإنسان يستطيع أن يقلد صوته ويحكى أسراره لكن رغم التعـارض الـدينى والعلمى فإن المعتقد الشعبى مازال مسـيطراً بـل وحولـه تـدور الحكايات بصورة تنم عن الاقتناع التام بما يحدث.

* السحر:

يعتبر المعتقد السحرى من أكثر الصفات المختبئة فى صدور النـاس فإذا خرجت من الممارسة اليومية أو أفصحت عن نفسها فى سلوك فإن ذلـك يكون فى استحياء شديد بين الفرد ونفسه وبين المرء وخواصه أو فى دائـرة محدودة أشد التحديد وهى لاتكون فى العادة محلاً لكثير من الحوار والجـدل

بين المرء ومن يعيش معهم ولكنها تتجمع فى صدور من يؤمن بـــــها حتـــى تتركز ثم تنطلق فى صورة سلوك وتؤدى بشكل خـــاص أو ســـريع متعجـــل تحيطه فى أكثر الأحيان أمارات رهبة تكون معبرة عن تأصل هذا المعتقد فى نفوس الناس على الرغم من انتشار الثقافة وتوسع رقعتها..

* الأحلام:

الأحلام تراث خاص ببعض الأفراد يشتهرون بها، فهى وما فيها من رؤى مصدر غامض إذ تتم والإنسان فى غيبوبة أو فى حالة فقـــدان الادراك بحقيقة ما يتخيل من صور وأحداث خلال حالة الحلم، ثم أن الحلم فى الأغلب الأعم يجد رموزاً هامة فى الحياة النفسية لمن يحلم، وقد تكون هــــذه الحالـــة الـــنفسية تضطرب بالخوف أو القلق أو الطموح ولكنها لا تتكشف إلا بالرموز التى تحيل إليها الصور إلى كلمة ثم استحياء موروث الكلمة وتراثها الشعبـــى القديم لتعيد ترجمة الكلمة إلى معنى واضح يكشف عن الحياة النفســـية التـــى تبرز خلال الحلم وبهذا يمثل الحلم أداة هامة فى العمل الدرامى.

* الإلهام:

لعل المعنى الذى يحمله المعتقد الشعبى للإلهام نابع من المعنى اللغوى والدينى ألا وهو البيان والمعرفة التى تلقى إلى الإنسان من علٍ أو من عـــالم غيـــر عالمه..وبالرجوع الى التراث الشعبى بصفة عامة يُلحظ وجـــود مثـــل هذه المعرفة لتكون نبوءة واستكشاف لأمور المستقبل.

وبعد:

فإن كل الوسائل السابقة والأساليب التنبوئية تمثل محوراً تدور حولـــه مجموعة هائلة من الموضوعات الاعتقادية. كما أنها تستقطب قدراً كبيراً من العناصر التراثية الشعبية.

ومن ثم يمكن القول أن عمليات التنبـــؤ بالمســـتقبل تتخلـــل معظـــم موضوعات التراث وترتبط بالموضوعات الاعتقادية فيه على نحو أو أخـــر.

الأمر الذى نجم عنه ظهور الحكايات التنبوئية وآثارها المترتبة على الحيــاة الاجتماعية بصفة عامة.

*** الحكايات التنبوئية عند العرب(٦٥)**

حقيقة يحمل التراث العربى كثيراً من الحكايــات التنبوئيــة كنمــاذج متنوعة من مجالات التنبوء..ولعل المتصفح لكتب الأدب ليلمح هــذا الــثراء الزاخر من الحكايات فمثلاً نجد حكاية "النمروذ" كما جاء فى كتاب العرائــس "للثعلبى" الذى يرى فى منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمــر حتى لم يبق لها ضوء ففزع من ذلك فزعاً شديداً ودعــا بالســحرة والكهنــة والــقافة – وهم الذين يخطون على الأرض –، وسألهم عن ذلك فقالوا مولود يولد من ناحيتك هذه السنة. يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه، فــأمر نــمروذ بذبح كل غلام يولد فى تلك الناحية تلك السنة وأمر بعــزل الرجــال عن النساء ويتكرر هذا فى قصة موسى التى دخل منها فى روايــة الثعلبــى الكثير من الاسرائيليات حيث نجد أن فرعون رأى فى منامه كأن نــاراً قــد أقبلت من بــيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها، وتركــت بنــى اسرائيل فدعا فرعون الكهنة والسحرة والمعبرين والمنجمين فسألهم عن رؤيــاه فقالوا له يولد فى بنى اسرائيل غلام يســلبك الملــك ويغلبــك علــى سلطــانك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل من دينك..فأمر فرعون بقتــل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل.

ولعل القرآن الكريم قد تناول هــذه القصــة لســيدنا موســى بــأدق تفصيلاتها وفوق هذا وذاك يحمل لنا القرآن اشارات هامة لــها دورهــا فــى توجيه الأنبياء ففى سورة الصافات تحكى الآيات مــن (١٠١ – ١٠٧) حلــم سيدنا إبراهيم فى ذبح غلامه وفى سورة يوسف نجد عناية القصص القرآنــى بالحلم واستخدامه استخداماً قصصياً رائعاً حيث قصة يوسف من بدايتــها إلــى

نهايتها..وحيث أنها أحسن القصص كما جاء فى القرآن (نحن نقــص عليــك أحسن القصص) **هذا من ناحية..**

ومن ناحية اخرى..نجد وهب بن منبه في كتاب التيجان يــروى لنــا حكــاية الصعب ذو القرنين "الملك الحميرى" الذى رأى أربعة أحــلام فــى أربعة ليال متتالية، فهوله ما رأى، فأرسل إلى أهل مشورته ووجــوه قومــه فجمعهم فقص عليهم ما رأى فاحتار القوم فعرضها على الكهنــه والمنجميــن والجبابرة من أهل الدين فاحتاروا فعرضها على الخضر عليه السلام فأولها له بأن الله حذره من جهنم وأنه سينال علماً ولا يبقى معه ملك فــى الأرض إلا خلعه ويملك الأرض وما عليها ويركب البحار جميعاً ويملك جزرهــا وأنــه سخر لاخضاع الأرض لدين الله..

أضف إلى هذا ما ورد فى قصة عبد المطلب ونذره بنحر أحد أبنائــه عند الكعبة لو رزق بعشرة نفر من الأولاد وخرج ليذبح عبد الله بــن عبــد الــمطلب وهو أبو النبى محمد بن عبد الله ثم يرمى بالقدح ليتحقق الفداء بنحر مائة من الابل فداء لعبد الله.

وهكذا حكايات كثيرة تنم عن تنبوءات الأحلام..

إلا أن الأمر غير قاصر على هذا..فحكايات التنبوء تطل معلنة الثراء الزاخر لهذا النوع..وبالأخص داخل السير الشعبية العربية والكتب القديمة..

فهذا عنترة بن شداد تجعله السيرة قضاء الله المرسل لاذلال العــرب قبل رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) والحديث عنه لا يظهر أنــه نبــوءة سابقة لميلاده وانما يذكر على أنه قدر كتب على العــرب لأســباب خاصــة بهم..فعنترة وهو محقق الإرادة الالهية وفعله نتيجة عبث العرب وطغيانــهم. فوجود عنترة إنما هو وجود كونى يلعب دوراً فى حركــة جماعــة بأكملــها ليساهم فى تغيير معتقد والخبر عنه هو خبر كونى.

وإذا كان عنترة قد كتب عليه أن يزل العرب ليمهد للاسلام فقد كتب على سيف بن ذى يزن أن يحقق دعوة نوح عليه السلام فى ابنه حام بأن يسّود الله وجهه ويجعل نسله خداماً وعبيداً لذرية أخيه سام وقد كانت هذه النبوءة مكتوبة فى الكتب القديمة وقد عرف هذه النبوءة ثلاثة من وزراء الملك سيف أرعد ملك الحبشة وعدو الملك يزن.

أما بيبرس فقد كتبت نبوءته فى جفر الامام ولم تذكر السيرة أى امام من أئمة الشيعة ولا يخرج هذا الإمام أن يكون أحد اثنين إما امام الشيعة الأول على بن أبى طالب أم السادس رأس مذهب الإمامية والاسماعلية الامام جعفر الصادق.

وقد ذكرت السيرة أن الفديوية أبناء اسماعيل بعد أن رأوا الملك الصالح فى منامهم يخبرهم بيبرس أيقنوا أن مشاهدتهم هذه الليلة حق وما هى بأضغاث أحلام لأن ذلك مذكور عندهم فى جفر جدهم الامام، وبعد ذلك ذهبوا وسألوه عن الاشارات التى تحدد لهم حقيقة شخصيته وكونه صاحب النبوءة، وبعد أن تحققوا منه أوقع الله حبه فى قلوبهم وتمكنت منه ورحبوا به أحسن ترحيب وطالبوه أن يعاهدهم، وعندما سألهم عن السبب ذكروا له أن اسمه عندهم مذكور وصورته فى الكتاب مسطورة وأنه دلت عليه الجفور أنه صاحب الفتوح المنصور وقد رأوا لذلك علامات.

وفى السيرة الهلالية: نجد أن كل حادثة خطيرة وكل واقعة عظيمة وكل عمل من الأعمال الكبيرة لابد أن تسبقه رؤيا تنبئ به وتدل عليه النتيجه فيه لدرجه أن السيرة بها قسم خاص اسمه منامات شيحة وهى تتضمن الرؤى والاحلام التى رأتها شيحة أخت أبى زيد عندما خرج فى رحله التغريبة إلى بلاد المغرب..هذا بالاضافة إلى ما تنبأ به السحرة والعرافة والمنجمون من أن الزناتى خليفة سيكون مصرعه بيد دياب بن غانم.

ولعل المتصفح لتلك السير السابقة ليجد أن هذه النبوءات متوفرة فيها بصورة مختلفة ما بين تنجيم وقراءة رمل والهام وتحضير أرواح وسحر وغير ذلك..وبالطبع هذا غير قاصر على السير السابقة..فهناك **"سيرة فيروز شاه وبهرام شاه وحمزة البهلوان وسيرة المهلهل وسيرة الزير سالم، وكذا أيضاً حكايات ألف ليلة وليله".**

وبالطبع الأمر ممتد لواقع التاريخ نفسه..ففى عهد العباسيين نتذكر حادثة فتح عمورية عندما سئل المنجمون عما إذا كان الوقت ملائماً ليغزو المعتصم عمورية أم لا، لكن على الرغم من تحذير المنجمين له إلا أنه نفذ غزوه، وقد سجل أبو تمام هذه الحادثة فى قصيدته المشهورة **"فتح عمورية"** والتى يقول فيها

السيف أصدق إنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف فى متونهن جلاء الشك والريب

يضاف إلى هذا:

ما أورده المسعودى فى كتابه مروج الذهب(٦٦) عن رؤيا زبيده أيام حملت بالأمين وعند مولده وبعده وهذا ما ذكره أيضاً جماعة من الاخباريين وممن عنى بأخبار العباسيين كالمدائنى والعتبى وغيرهما من أن زبيدة رأت فى المنام ليلة علقت بمحمد كأن ثلاث نسوة دخلن عليها وهى بمجلس،، فقعدت اثنتان عن يمينها وواحدة عن يسارها، فدنت احداهن فجعلت يدها على بطن أم جعفر ثم قالت ملك فنجم عظيم البذ ثقيل الحمل، نكد الأمر، ثم فعلت الثانية كما فعلت الأولى وقالت ملك ناقص الجد، مفلول الحد، ممذوق الود، تجور أحكامه وتخونه أيامه ثم فعلت الثالثة كما فعلت الثانية وقالت: ملك قصاف عظيم الايلاف، كثير الخلاف، قليل الاصناف، قالت فاستيقظت وأنا فزعه....، وهكذا يستمر المسعودى فى سرد بقية الرواية وتتتابع أحداث حياة الأمين ثم المأمون وتتراكم الأحداث وراء النبوءات وتعبر الأشعار الغنائية

والقصائد الشعرية عن أحداث درامية، كما يذكر المسعودى ما صادف الأمين مــن نبوءات وأحداث وأقوال تشاءم فيها وكان لها أثرهــا بعــد ذلــك فــى مــجريات حياته..وهكذا غير ذلك كثير..كثير يحتــاج إلــى حصــر شــامل ودراسة متأنية، وهكذا يتضح لنا أن الموروث الشعبى العربى من الحكايــات التنبوئية زاخر بصورة تدل على وجودية هذا النوع من الحكايات فــى الأدب العربى بصفة عامة.

ب- الحكايات الدينية:

بداية..يحمل ظاهر اللفظ معناه..أى ان الحكايات الدينية تحمل المغزى الدينى..لكن هذا المغزى يقصد به اعتناق الإنسان للدين كمبدأ، وسواء أكــان هذا الدين اسلامياً أم مسيحياً أم يهودياً فإن المقصود هو اعتناق مبادئ السماء التى نزلت على الرسل معلمة وموجهة للبشر بصفة عامة ومن ثم فــإن هــذا الدين وما يدور حوله من حكايات جعلت البعض يرى أن التمســك بقواعــد الدين فى المجتمع أصبح مسألة شخصية تتعلق باعتقاد الفرد وحريته - وربما يؤيد هذه النظرية ما نلمسه فى المجتمع قديماً وحديثاً من حريات دينية تتيــح للفرد أن يمارس معتقداته أولاً بحسب فكره الذاتى ورأيه الشخصى.

هذا الاعتقاد يبرر عدم فعالية هذا النظام فى مجتمع يمــوج بتيــارات ومذاهب شتى تتعارض مع الدين كنظام اجتماعى أو متحالفة معــه باعتبــاره أداة اجتماعية ضابطة، ولكن برغم هذه النظرات المتباينــة للديــن، وبرغــم انتشار النزعة الــفردية المادية عند الأفراد والجماعات..برغم كل هذا فمــا زال للدين أثره فى النفوس خاصة فى المجتمعات المحافظــة التــى مــازالت تتمسك بالعقيدة الدينية كإطار للحياة الاجتماعية وقواعد ضابطة للسلوك(٦٧).

* **أسلوب الحكايات الدينية[٦٨].**

من منطلق دور الحكايات الدينية فى حياة الفرد والجماعة وما تقدمه لهم من نماذج للأسوة الحسنة والخلق القويم تدور هذه الحكايات وتسلك فى هدفها الأساليب الأتية:

أ- أنها تتطور مع ما يعتنقه الشعب من مبادئ وقيم فترسى دعائم الأسرة والمجتمع وتمجد أعمال الأبطال مما يحقق لها فى النهاية هدفاً من أهداف الدين كمثل العدالة والتربية على الطريقة الاسلامية....الخ.

ب- أن معظم أئمة المساجد والوعاظ يستخدمونها { اسلوباً - ومضموناً} من أجل تثبيت فضائل الدين فى أذهان السامعين حتى يكون اقتناع الناس بها كاملاً غائراً فى الصدور.

ج- أنها تستخدم فى طريقتها وأسلوبها وتحليلها ما يقيم دلائلها وحججها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشارحة للمضمون والهدف.

د- أنها حكايات فلسفية رمزية بمعنى أننا إذا أردنا فك رموزها وصلنا إلى مغزاها الحقيقى ووجدنا لها أكثر من تأويل..فأشخاصها يرمزون إلى قيم فلسفية وحوداثها تفسر الصراع القائم بين قوى النفس المختلفة.

هـ- استحياء الأجواء الاسلامية وذكر الأماكن المقدسة حيث أن هذا فى داخل الحكاية يعد قربة من القرب التى توصل الإنسان إلى الجنة.

و - أنها تستخدم لغة سرية لا تُفهم إلا بمنطق الأسرار من مثل الألفاظ التى تتعلق بالغزل الحسى { الهوى - العاشقين} والألفاظ التى تبعد عن الغزل المباشر وتستغرق فى الحب الالهى وحب (رسول الله صلى الله عليه وسلم) والألفاظ التى تتصل بمناخ دور اللهو مثل (**السُكر والخمر والكأس**)، **فالسُكر**" فى عرف هؤلاء يرمز به إلى الحيرة والوله، و "**الخمر**" يرمز بها إلى النصر الالهى والعشق الكامل، و "**الكأس**" يرمز به إلى قلب العارف)[٦٩].

*** مجال الحكايات الدينية[٧٠].**

يرتكز مجال الحكايات الدينية دائماً على عدة أسس ايمانية هى:

١- **وحدانية الله**..فالكون له خالق واحد تفرد بصفات الكمال وتنزه عن مشابهة خلقه فى ذاته وصفاته..كما أن اثبات وجود الله وخلقه لهذا الكون ليس عسيراً على العقول ولا بعيداً عن فطرة الإنسان وعلمه..فالإنسان بطبعه يهتدى إلى ربه ما دام سليم الفطرة بريئاً عن الأهواء والعلل ومن هنا كانت وحدانية الله أهم المجالات التى دارت حولها الحكايات الدينية.

٢- **الإيمان بيوم القيامة**..حيث يجد الإنسان الجزاء العادل على ماقدمت يداه فى دنياه بعد فنائه..فالحياة ميدان كبير شهد ومازال يشهد تصارع الحق والباطل وتنازع البقاء وظلم الأقوياء للضعفاء وعليه شهدت الحكايات الدينية طغيان الشهوات وصراع الرغبات ومن ثم فهناك يوم أت لاريب فيه يظهر فيه الحق وينصف فيه المظلوم ويلقى كل انسان ثمرة سعيه فى الحياة.

٣- **حب الأنبياء والرسل**..حيث تقدمهم الحكايات من خلال سيرتهم وبالأخص رسول الله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) المثل الأعلى للشجاعة والكرم والبر والاخلاص والصبر والكفاح قاصدة إجلاء الظلام الذى يحيط بالنفوس وبالبيئات التى صرعها الفقر والمرض ولعل رصيد الحكايات فى هذا قول الله عز وجل (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)[٧١] وبالتالى فهى تقدم الموعظة والارشاد والتربية معتمدة على الأسوة الحسنة..وحسن الخلق لا يؤسس فى المجتمع بالتعاليم المرسلة أو الأوامر المجردة اذ لا يكفى فى طبع النفوس على الفضائل أن يقول المعلم لغيره افعل كذا أو لا تفعل كذا فالتأديب المثمر يحتاج إلى تربية طويلة وتعهد مستمر ولم تصلح تربية إلا إذا اعتمدت على الأسوة الحسنة.

٤- **الزهد والتصوف**..وهذا ركيزة هامة من ركائز هامة من ركائز الأيمان داخل الحكايات، وفلسفة هذا ترى أن الزهد هو طب الأرواح ودواء القلوب

وأنه هو الطريق الصحيح لتصحيح الدين، يضاف إلى هذا (أن المعارضين للتصوف هم فريق لم يذق حلاوة العرفان ولم يستضيئوا بنور القرآن..ادعوا العلم ولم يشموا الروح الصحيح ولو أنهم ارتشفوا رشفة من التصوف لشاهدوا عناية الله بأهله حيث هو الدين الصحيح ولباب هدى كتاب الله)(٧٢).

٥- **التربية على الطريقة الاسلامية**..حيث أن حاجة النفس إلى التربية كبيرة ولم يكن هناك من هو أحط قدراً ولا أبخس ثمناً من نفس لم تنل نصيبها من التربية وليس من السهولة أن تربى الجماعات قبل أن تربى نفوس الأفراد والحكايات الدينية حين تتعرض لتربية النفس فإنها تدفع بها إلى كل فضيلة ترفع قيمتها وتحفظ كرامتها وتصون شرفها وتسمو بها عن كل رزيلة تبخس قيمتها وفى هذا وذاك ما يجعلها تتكون تكويناً صالحاً يصل بها إلى ذروة المجد وقمة الشرف..فلم تدع الحكايات فضيلة إلا حثت النفس عليها وأضاءت لها طريق الوصول إليها ولم تدع رزيلة إلا حذرت منها ووضعت العراقيل فى سبيلها وصورت لها العاقبة فى صورة مشوهة تنفر منها الأنظار.

ولكى تعمل الحكايات على ايجاد شخصية ذات نفس صافية فقد أمدتنا بأكبر قسط من التربية السليمة الصحيحة لنسلك حياتنا فوضحت لنا طريق الخير وطريق الشر وأكدت أن ما نعمله فى حياتنا عائد علينا إن كان خيراً فخير وان كان شراً فشر ونحن أحرار فى أن نسلك الطريق الذى نستريح فيه ونطمئن إليه وهكذا يقول القرآن الكريم [ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها](٧٣) ويقول أيضاً.

[قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها](٧٤).

ولكى تضمن الحكايات وجود النفس الصافية السليمة فقد وضحت وقررت أن هناك مسئولية واقعة على النفس التى تتجنب الطريق السوى وأنها وحدها

هـي التى تتحمل وزرها فلا تستطيع أن تتنكر لـه ولا تنتظـر أن يتحملـه غيرها عنها لأن أمر العدالة مفروغ منه، وهكذا يقول القرآن الكريم (كل نفس بما كسبت رهينة)[٧٥] ويقول أيضاً (ولا تزر وازرة وزر أخرى)[٧٦].

٦- **التسليم بالقضاء والقدر**..حيث يدرك الإنسان أنه ليس مخلوقاً بدون فائدة ولا متروكاً بغير محاسب وأن للكون رباً يصرّف أحواله ويقضى فيه بما يريد ويجعل للحياة غاية تصل إليها ومقادير يحيط بها كما أنه يؤمن بأن الله يعلـم مصائر العباد ويحيط بأحوالهم ويدبر أمورهم فلا يقع شئ فى الكون إلا بإذنه ولا يصيب الناس نفع ولا ضرر إلا بإرادته وقدرته، وذلـك معنـى ايمانـه بالقضاء والقـدر..وهكذا تؤمن الحكايات الدينية فـى أن القـدر قـد أحـاط بمصائر العباد ومواهبهم على نحو دقيق..فالصحة والمرض والغنى والفقـر والنعم والمصائب والأحزان والأفراح ونهاية الأجل ومكان الموت وكـل مـا يتصـل بحياة الناس مـما لا يملكون فيه تصرفاً ولا يستطيعون له تحويـلاً ولا تبديلاً مما اختص به القـدر وأحاط به علماً فلا يُمكّنُ أحداً أن يخرج عما قدر الله له فى ذلك ولا أن يبـدله كمـا يريد بل أن الإرادة الألهيـة وحدهـا هى التى تعمل عملها فى الكـون وفق علـم الله وحكمتـه وتقديـره لخـير العباد، والإيمان بالقدر فى هذا الجانب هو الذى يحمى متلقى تلك الحكايات من القلـق ويعصمه من الجزع والحسرة إذا تبدلت بـه الأحـوال بيـن النعمـة والبؤس فهو يتقبل أحداث الحياة بنفس راضية لأن هذا اليقين بـالقدر يجلـب الطمأنينة إلى النفس فلا تتقلب مشاعرها ولا تلعب بها حوادث الحياة.

يضاف إلى هذا أن الحكايات تؤمن بأن علاقة القدر بأفعال الناس واتجاهاتـهم بين الخير والشر والطاعة والمعصية تختلف عن علاقته بمواهبهم ومصائرهم فموقف الإنسان مـن الطاعـة والمعصيـة ليـس كموقفـه مـن الأعمـار والأرزاق..فالإنسان السوى يشعر أن له ارادة وقدرة فى الإتجاه إلى طريـق الطاعة أو إلى طريق المعصية.

ولا يجد نفسه مجبراً على سلوك أى منها، ولكن الموت قدر محتوم لا إرادة للإنسان فيه، ولا قدرة له على دفعه، وكذلك الرزق ضيقه وسعته..أما المعصية التى يحاسب عليها الإنسان فإنها لا تقع فيه إلا وهو متيقظ الأرادة بعد عزم وعمد فلا يحق بعد ذلك أن يجادل بالباطل ويزعم أن ذلك قضاء وقدر لا اختيار له فيه ولا إرادة.

٧- **التوكل والاعتماد على الله**..ويرتكز مفهوم هذا البمدأ فى أن يعتمد المرء على الله فى تحقيق الغاية التى يرجوها من غير أن يقصر فى عمل يعينه عليها أو جهد ينبغى أن يبذل فى سبيلها ومن هنا يدور مجال الحكايات الدينية حيث تحث وتنبه على الابتعاد عن السلبية والتهاون وعدم الجرى وراء الأمانى ورفض كل صور الإهمال والتمسح الخاطئ بالقسمة والنصيب والقدر..

٨- **العدالة**..ومنها نتبين أن الحكايات التى تدور فى فلك العدالة جادة فى اقامتها كما ينبغى أن تكون مطالبة بجعل الشهادة لله خالصة له مهما بلغت المؤثرات والملابسات التى تحيط بها..وعلى الإنسان أن يقول كلمة الحق ولو كانت على نفسه أو على ألصق الناس به كالوالدين والأقارب أو كان من بين من يشهد عليهم المرء غنياً ينتظر أن يجامل لغناه أو فقيراً يتوقع الرحمة به لفقره لأنه سبحانه وتعالى رب الغنى والفقير وهو الذى دبر وقدر أمر كل شئ منها بعلمه وحكمته وجاء شرعه للخير والاصلاح..وما من أحد أولى بهم منه فليس لشاهد أن يتجاوز حدوده فيميل فى شهادته عن الحق أو يسكت عن أدائها لأنه تعالى عالم بموقف من أدى الشهادة أو أعرض وله جل شأنه العدالة الالهية التى تجزى كلا بما يستحق هذا من ناحية - ومن ناحية اخرى فإن هذه العدالة تجيز للأب أن يعطى أولاده كلهم أو يمنعهم كلهم ولا تجيز له أن يعطى أحدهم أو بعضهم ويحرم الآخرين ثم أن هذه العدالة ليست مقصورة على ما سبق وإنما هى عدالة شاملة تتسع لكل الأفراد ولكل

تصرف..وفى ظل هذه العدالة تسلم الأسر من صراع الأبنـــاء مـع الأبـاء وصـــراع الأقارب وتستقر نفوس الأفراد فيها وتصفو مـــن أكـدار الخـوف والــقلق والحقد، وتنصرف عن تدبير المكائد والفتن والجرائم إلى مـــا هــو أجدى من التفكير البناء والعمل المثمر وبذل الجهد فى ماله غناؤه فـــى حيـاة الأفراد وفى حياة الأمة.

*** الحكايات الدينية عند العرب[٧٧].**

قبل الإسلام لم يكن للعرب كتاب مقدس اذ كـــانت الكتـــب المقدسـة المنزلة على الأنبياء والرسل السابقين للنبى العربى (صلى الله عليــه وســلم) حكراً على رجال الدين والخاصة ولم تكن منزلة بلغة العرب مما جعل تأثيرها محدوداً على مستوى الجماعات ومن ثم فإن حصيلتنا من الحكايات الدينية فى تـــلك الفترة قليلة نادرة إلا أنها بعد الإسلام كان لـــها شأنـــها..فـــإلى جـوار "الـــحكاية القرآنية" نمت أنواع أخرى على ايـــدى مجموعـــة مـــن الوعـــاظ والكتاب والمناهضين للدين الجديد وكان للشعب أيضاً حكاياته المســـتقاه مـــن الأساطير وحكايات البطولة والقادمة من العصر السابق للاسلام.

وتبدأ هذه الحكايات مع نشأة علم التفسير فى حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) كمساهمة فى ترسيخ تعاليم الدين ومبادئه وكجـــزء مـــن خطـــب المساجد وأساس فى أحاديث الوعاظ حتى أن بعض الأئمـــة أفتـــى بشرعيـــة اختراع حكايات تثبت فى أذهان السامعين فضائل الدين حتى ولـــو أســـندت زوراً إلى الصحابة والتابعين.

هذه الحكايات ترتكز على موضوعات دينية الغايـــة منـــها الارشـــاد والتوجيه وتتعلق بالأنبياء والرسل وما لا قوه من عنت ونكران وعذاب فـــى سبيل نشر رسالتهم الموجهة إلى البشر الضالين لهدايتهم إلى ما يصلح أمـــور دنـــياهم، وكيف أن الله سبحانه وتعالى كان ينصـــر جنـــده ونجـــد أن هـــذه الحكايات تتحدث عن حال الأقوام والأمم وكيف أنزل الله عليها جام غضبـــه

جزاء مواقفها نحو الداعين إلى التوحيد والايمان كقبائل "**عاد وثمود**" وسواهما من القبائل البائدة ويستطيع قارئ القرآن الكريم أن يحيـــط بقصـــة الخليقـــة والإنسانية منذ خلق الإنسان وتكونت الأرض..فعبر رحلة البشر مـــع الخـــير والشر والايمان والالحاد تتتابع الصور القصصية لهذه الرحلة الطويلة علـــى مر القرون والعصور، ويحس القارئ أن سور الكتاب العظيم تقدم هذه الحكاية الطويلة مجزأة ليكون لها أكـــبر الأثـــر مـــن جميـــع النواحـــى... **الناحيـــة الدينية..ناحية التشويق..الناحية التعليمية**..لتثقيف التابعين مما يخدم فكـــرة أن القرآن كتاب معجز، ولا يمكن لبشر وضع ما يضاهيه(٧٨).

وإلى جوار الحكاية القرآنية استمر تواجد الحكاية القديمة المتوارثـــة بعـــد أن هُذبت وعدل فى مضامينها بما يتناسب مع المفاهيم الحديثـــة التـــى بســـطت سلطانها على الرأى العام مثل قصة (**الجساسة والدجال**) التى قصها "**تميم بن أوس الدارى**" على النبى العربى (صلى الله عليه وسلم) وتدور حول ظـــهور الدجال ونزول المهدى فى آخر الزمان.

وطوّر القصاصون أساطير وحكايات وأيام العرب المشـــهورة ومـــن ذلك كتابة أساطيرهم المعروفة وفقاً لحاجات الإنسان الجديـــد، كمـــا أعيـــدت صياغة سيرهم الماضية وأيامهم الحافلة بالحروب والأبطال فألفت سيرة عـــن حرب "**البسوس**" وبطلها المهلهل التغلبى بعنوان "**الزير سالم**" حيث نجد فيـــها المفردات الإسلامية على الرغم من مجئ الإسلام بعد حرب البسوس بما يزيد على قرنين من الزمان، وتحفل كتب "**ابـــن الأثـــير والطـــبرى والمســـعودى والبلاذرى**" بالعديد من الحكايات التى اعيـــد صياغتـــها وهذبـــت مفرداتـــها ومضامينها بنفس الصورة..

ومع هذين النوعين من الحكايات كان من الطبيعى أن تنمو الحكايـــة الدينية التى تمزج بين تعاليم الدين وتخاطب الناس بما ألفـــوا فكـــثر وضـــع الـــحكايات الدينية وأسهب القصاص والوعاظ فى الحديث حول مـــا وصـــل

إليهم من أخبار الأمم الدائرة، والدول الزائلة، ونضال الأنبياء والرسل وجهادهم، ونبراسهم في ذلك قصص القرآن، وأسلوبه الذى اتخذوه مثالاً للكتابة القصصية، ومن أشهر رواة الحكايات الدينية بالإضافة إلى الذين اتصلت أواصرهم بما قبل الإسلام **(كتميم بن أوس الدارى، والأسود بن سريع السعدى ووهب بن منبه،** [٧٩] **و "طاووس بن كعب أبو اسحق الحميرى، والضحاك بن مزاحم الهلالى، ومقاتل بن سليمان البلخى، وأبو بكر الأصم، وعبيد بن شرية الجرهمي، والحسن البصرى، واياس بن معاوية، وزيد بن صوحان، ودغفل بن حنظلة النسابه، وابن عباس، وزياد بن أبيه)**، وغيرهم كثير، ومع هذا النشاط العجيب ومنذ أن شب الصراع بين على ومعاوية على حكم الدولة الإسلامية فتحت السياسة باباً واسعاً أمام الحكاية الدينية تضمنها أحداثاً وأراء ترجح كفة أحد الطرفين المتنازعين وتلصق الفضيلة والحق به وبأهله دون الطرف الأخر ثم قامت الدولة العباسية فصارت طرفاً ثالثاً فى هذا المجال واعتمدت كل الاعتماد على هذا السلاح من أسلحة النزاع فركزت عليه بكل امكانياتها وقدراتها لتكسب إلى جانبها الرأى العام. ثم لم تلبث أن نزلت إلى الميدان الدولة الفاطمية فحطمت كل ما سبق وتفوقت على ما عاداها فى هذا الجانب الدينى..

ولا يخفى عن الأذهان أن هذه الظروف السياسية ومدى اعتماد الأحزاب عليها فى الوصول إلى الحكم أو تثبيت مواقفهم حتم على الجميع أن يخفى وجهه الحقيقى ويلبس قناع الدين متستراً به أمام الناس حتى يكون إقتناع الناس به وبما يقول دامغ الحجة قوى البرهان.

- وعليه، فنحن بكل هذا أمام صرح شامخ من حكايات دينية بصفة خاصة ولون قصصى بصفة عامة ينتظر أن يرد للأدب العربى اعتباره بعيداً عن الصراع السياسى والتعصب العقائدى.

جـ - الحكايات الاجتماعية:

الحق يقال أن الحكايات الاجتماعية أشبه ما تكـــون بمـــادة اذاعيـــة اعلامية تقدمها وسائل الاعلام الحديثة ذلك (لأنها تؤثـــر فـــى النـــاس أبلـــغ تأثير)[٨٠] لـــكن بجانب هذا فهى لا تقدم لهم فى صورة التسلية والترفيه فقـــط بل تقدم إليهم (من أجل ترسيب معرفة أو تأصيل قيمة انسانية أو تأكيد مثـــل اجتماعى أو اخلاقى) [٨١] وبالتالى فهى تصدر فى شكلها ومضمونـــــها عـــن نموذج اجتماعى تريد أن ترفع إليه سلوك الأفراد[٨٢].

ومن ثم فإن هذه الحكايات تقوم بما يقوم بـــــه المرشـــد أو المصلـــح الاجتماعى حيث نجد الوعظية الارشادية لكن لابد وأن تكون هذه الوعظيـــة والارشـــادية صادرة بصورة مثالية لأن الناس لا يمكن أن يتقبلوا النصيحـــة من صورة مشوهة أو متناقضة""، وكما يقال فى المثل الشعبى المصرى (باب النجار مخلع).

*** أسلوب الحكايات الاجتماعية[٨٣].**

أ- تقوم الحكايات الاجتماعية فى أسلوبها على نقد عيوب المجتمع ومـــن ثـــم فهى (تتوسل فى نقدها بمنهج ايجابى فى معظم الأحوال) حيث استغل رســـم النماذج البشرية الدالة على طبقة أو حرفة أو ضرب معيـــن مـــن الســـلوك، وسياق الأحداث بدوره يعبر عن نزعة نقدية.

ب- تتناول موضوعات كلية ينشغل بها المجتمع الشعبى وهـــى تنقســـم إلـــى قسمين الأول ينحصر فى محاولة تفسير كل ظواهر الحياة المعاشة وبخاصـــة تلك التى تتعرض لمتغيرات الحياة، والآخر ينحصر فى التعبير عن حـــرص الإنسان الشعبى فى المحافظة على القيم التى تحفظ على المجتمـــع الشعبـــى تماسكه والتى يخشى فقداتها فى زحمة المتغيرات الجديدة ومن ثم فهى تصدر فى أشكالها ومضامينها عن ترسيب معرفة أو تأصيل قيمة انسانية أو تـــأكيد مثل اجتماعى أو أخلاقى.

جـ- تستخدم عناصر الماضى المجهول لتجعله محوراً مـن محاورهـا لأن الكشف عن المجهول يثير التشويق، ويحمل فى الوقت نفسه فلسفة الشعب التى تقول إن بقاء الجاه أو السلطان أو المال شئ محال كما أن الفقر ذاتـه ليس عـيباً وحرام أن يُذل انسان فاضل لمجرد أنه فقير فقد يكون فى أصله ملكـاً أو تاجراً غنياً ثم جار عليه الزمان.

د- تتعاطف مع أصحاب الحرف والمهن حيث تكشف عن المشقة التى يجدها هؤلاء الناس فى الحصول على لقمة العيش.

هـ- تحرص على أحداث التكافؤ فى الحياة الزوجية وتسخر من الأسر التى يختل فيها هذا التكافؤ بسبب السن أو الثروة أو الجاه أو غير ذلك من الأصول التى يتشبث بها المجتمع صيانة لوجوده، ولذلك فهى تصور المفارقات التـى يستحدثها عدم التكافؤ فى البيت أو الأسرة.

و- لاتجتذب الناس إلا إذا كانت ثمرة مباشرة لمجتمعاتهم أو حدث فيها مـن التعديل ما يجعلها ملائمة للبيئة والعصر ومزاج الشعب.

ز- ترسم المرأة على (أنها نموذج سواء كانت ملكة أو جارية..فهى جميلة بل بارعة الجمال، ولكم كان التفنن فى الحكايات فيِ وصـف محاسـن جسـمها وأسباب فتنتها وهى فى الغالب خيرّة فاضلة ولكن ذلك لم يمنع الحكايات مـن ترديد الفلسفة التى يأخذ بها جمهرة الناس والتى تتلخـص فـى (أن كيدهـن عظيم)، والمرأة العجوز من المحاور الرئيسية فى الحكاية الاجتماعيـة فـهى التى تقرب بين المحبين وتحتال على لقائهما وهى الخبيثة السـاحرة التـى لا تستريح إلا بتدبير المكائد.

ح- فرقت بين المغزى الاجتماعى المباشر وغير المباشر بين الأفراد الذيـن ينجمون فى المجتمع مرتبطين بأصولهم وأنسابهم وطبقاتـهم وبيـن آخريـن يقتحمونه اقتحاماً وهم أدنى إلى الطفيليات الاجتماعية منهم إلى أى شئ آخـر

فهم مثال العبث والسخرية والفكاهة.. انهم الشحاذون الذين يكتنف الغموض ماضيهم من كل جانب فكانت تصرفاتهم تثير سوء الظن عند الآخرين.

ط- تلتزم القصد والاعتدال لأنها ترى فى المبالغة شيئاً غريباً حتى ولو كانت هذه المبالغة مرتبطة بمثل اجتماعى أو أخلاقى فالمثل الاجتماعية لابد وأن يصدر السلوك على قالبها صدوراً فطرياً أو شبه فطرى لاينزع إلى افتعال أو مبالغة أو تكلف.

مجال الحكايات الاجتماعية[٨٤].

لاشك أن لكل مجتمع نظاماً من القيم والمثل والأخلاقيات والمواقف الوجدانية تحكم حركته وتمثل الجزء الباطن من عقله العام ومن ثم ضمنها المجتمع فى حكاياته الاجتماعية ليحدد بها اطاره الفكرى الاجتماعى العام الذى يؤمن به.

وعليه فإن مجال الحكايات الاجتماعية يمكن حصره فى:

١- الكرم والجود حيث لم يوجد فى الدنيا ولن يوجد نظام يستغنى فيه البشر عن التعاون بل لابد لاستتباب السكينة وضمان السعادة من أن يعطف القوى على الضعيف وأن يرفق الغنى بالفقير، وطبيعة المجتمع البشرى أن تتجاور فيه القوة والضعف والغنى والفقر.

ولو كان المال فى وفرته وندرته يتبع ما أوتى الناس من مواهب معنوية لاكتنز البعض الكثير وعاش البعض على القليل..فتلك سنة الحياة التى لا افتعال فيها، وإنما يتسرب الشقاء بين الناس عندما يحيون متقاطعين لا يعرفون إلا أنفسهم ومطالبهم فحسب مع أن الله خلط الناس بعضهم على بعض وجعل اختلاطهم على اختلاف أحوالهم اختباراً يزن به الايمان والفضل قال تعالى (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة..أتبصرون، وكان ربك بصيراً)[٨٥]....ولن ينجح مجتمع فى هذا الطريق إلا إذا وثقت الصلة بين أبنائه فلم يبق محروماً يقاسى ويلات الفقر ولم يبق غنياً يحتكر مباهج

الغنى، ومن هنا ففى الحكايات الاجتماعية شرائع محكمة لتحقيق هذه الأهداف النبيلة من بينها التنشئة السمحة للنفوس على فعل الخير واسداء العون وصنع المعروف.

ونتائج هذه التنشئة لا يسعد بها الضعاف وحدهم بل يرتد أمانها واطمئنانها إلى الباذلين أنفسهم فتقيهم زلازل الأحقاد.

كذلك ترى الحكايات الاجتماعية أن الفقر معرة إذا لحقت بالإنسان فتحرجه وتهبط به دون المكانة التى كتبها الله للبشر وأنها لتوشك أن تحرمه الكرامة التى فضل الله بها الإنسان على سائر الخلق وأنه لعزيز على النفس أن ترى شخصاً مشقوق الثياب أو حافي القدمين أو جوعان يمد عينيه إلى شتى الأطعمة ثم يرده الحرمان وهو حسير.

فالذين يرون هذه الصور الفاحشة ثم لا يهتمون بها ليسوا بشراً على الاطلاق لأنه بين البشر عامة رحم يجب أن توصل.

ثم أن نجاح الإنسان فى ازاحة عوائق البخل التى تعترض مشاعر الخير هو فى نظر الحكاية الاجتماعية فضيلة كاملة إذ المعروف أن الإنسان يشتد أمله فى الحياة وتتوثق أواصره بها عندما يكون صحيح الجسم طامحاً فى المستقبل يقتصد فى نفقاته ويضاعف فى ثروته ليطمئن إلى غد أفضل له ولأولاده من بعده، فإذا غالب هذه العوامل كلها وبسط كفه فى ماله عن سعة ولا يخشى اقلالاً ولا ضياعاً فهو يفعل الخير العظيم.

وقد يسبق الظن إلى أن السخاء يضيع الثروة ويقرب من الفقر ويسلب الرجل نعمة الطمأنينة فى ظل ماله الكثير. والحق أن الكرم طريق السعة وأن السخاء طريق النماء..

٢- الصبر.. يعتبر الصبر ضرورة فى هذه الدنيا لأنها ميدان فسيح تعاقبت عليه الأجيال واختلفت عليه الشعوب فواجهتهم طبيعة الحياة ومازال هذا الميدان يستقبل أجيالاً بطبيعة لا تتغير وحقيقة لا تختلف، ولئن كان كل إنسان

يحب أن تسير الأمور على هواه فإن للقدر خطة محكمة ونـــهجاً مرســوماً، وليس أمام الإنسان إلا أن يتقبل الأحداث ويواجه الواقع بتسليم ورضا فإن ذلك خير. أما الجزع والسخط فإنه الحرمان بعينه.

هكذا يكون مجال الحكاية الاجتماعية....

فالإنسان ومن عادته تجاهل الحقائق..يدهش للصعاب إذا لاقته، ويتبرم بالآلام إذا مسته وإذا أحرجه أمر أو صدمته خيبة أو نزلت به كارثة ضـــاقت عليـــه الأرض بما رحبت وضاقت عليه الأيام مهما امتدت وحاول أن يخـــرج مـــن حالته بأسرع من لمح البصر.

ولعل الصبر دائماً يكـــون مـــن عنـــاصر الرجولـــة الناضجـــة والبطولـــة الفارغة..فأثقال الحياة لا يطيقها الضعفاء ولا المرضى ولا الاطفـــال وأنمـــا يحملها العمالقة والابطال الصبارون..

– هذا ويوجد فى الحياة الاجتماعية دائماً نوعان من الصبر.

أ– صبر عن المعصية..وهو المقاوم للمغريات التى بثت فى طريـــق النـــاس وزينت لهم ارتكاب المحرمات كما أن الأقبال على المكاره والابتعـــاد عـــن الـــشهوات لا يتأتى إلا لصبور..والصبر هنا أثر لليقين الحاسم والاتجاه إلـــى ما يرضى الله وهو روح العفاف الذى يحمى الإنسان من مكر السيئات.

ب– صبر على النوازل.. وهو المقاوم لما يصيب الإنسان فى نفسه أو ماله أو أهله أو أى شئ آخر وتلك أعراض متوقعة وهيهات أن تخلو الحيـــاة منـــها، وعليه، فالرضا والاحتمال نعمة كبرى يبلغ بها الإنسان ما يؤمله فى المجتمع.

– وعليه..فالتريث والمثابرة والانتظار خصال تتسق مع سنن الحياة القائمـــة ونظمها الدائمة التى تحث عليها الحكايات الاجتماعية..فالحق لا يظهر وقـــت حدوث الشر بل لابد من الانتظار شهوراً بل وأعواماً حتى تتكشـــف الغمـــة وتعود الأمور إلى نصابها الطبيعى.

٣- **العمل**.. حيث يعتبر العمل فى ذاته (قيمة إنسانية متميزة بين مجموعة القيم التى تنظم مقومات الوجود الإنسانى، كما أنه له دور أساسى فى تحقيق القيمة الفعلية للحياة مهما كان نوعه ومهما كانت طبيعته، فالعمل هو الذى يحول الشئ المعدوم القيمة إلى شئ نافع له قيمة نفعية أو جمالية، وعليه..فيكون العمل كالإبداع..فهو إضافة وتجسيد في الوقت نفسه وهو بطبيعته عملية إرادية تجعل من المدرك محسوساً ومن المتخيل واقعاً ملموساً ومن المتصور حقيقة، بل تصبح الكلمة فعلاً والحركة فعلاً..والفعل فى حد ذاته هو لقاء بما يريده الإنسان وبين ما يمكن تحقيقه وهو لقاء أيضاً بين ما هو كائن وما يمكن أن يكون..والله عز وجل يقول فى حديثه القدسى (يا عبدى كن عبداً ربانياً تقول للشئ كن فيكون)، هذا ولقد انتبه الإنسان منذ قدم التاريخ إلى حقيقة القدرة التى يمتلكها فانتبه إلى قيمة العمل وغائيته..

ولهذا فالعمل وما يرتبط به من قيم اجتماعية وأخلاقية واقتصادية يشكل أساساً من أسس النشاط الإنسانى الذى يرتبط بعملية الوجود نفسها[٨٦].

والحكايات الاجتماعية بطبيعتها الفكرية والأدبية هى تعبير عن الخبرة الموضوعية للإنسان حيث تكشف بدلالتها عن أن فعل الإنسان إذا فقد قيمته الايجابية فى الحياة تحول إلى انتقاص من قيمة الإنسان نفسه صاحب هذا العمل.

فالقدره على الفعل والحركة هى دليل الحياة..والعمل أساساً مرتبط بقدرة الإنسان على الإضافة.

٤- **التعاون**..وهذا معناه أن يساعد كل إنسان أخاه فى الشدة ويشد أزره إذا نزلت به كارثة ويناصره إذا تحولت عنه الأيام..فالأمور سجال يوم لك ويوم عليك..والحكاية الاجتماعية فى هذا حريصة على سعادة ورفاهية المجتمع..فهى توضح طريق الحق من طريق الباطل وتبين فوائد التعاون وتحذر من التخاذل، ومن ثم فالإنسان لا يعيش مشغولاً بذاته منعزلاً عن

الناس والحياة..بل يمد يده بالخير والعون ويعطى الحياة ما يزيدها أمناً وسلاماً لأنه يفهم معنى الانسانية ويدرك مسئوليات الأخوة فى المجتمع الذى يحيا فيه ويعلم أن كيان المجتمع يقوم على أساس أن أفراده وحدة تتضامن فى مواجهة الحياة وتتعاون فى حمل أعبائها ويساعد بعضهم بعضاً أمام الأزمات، وكما يقول الرسول الكريم (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً) (٨٧).

٥- **الزواج**..وهذا يعد رابطه مقدسة تقوم على المعانى الروحية والعاطفية أكثر ما تقوم على أى معنى آخر وهو عقد لا يراد به صفقة عابرة ولا أمر وقتى سريع الزوال بل هو عقد يقوم على اشتراك طرفيه فى الحياة فى شركة يراد بها الدوام والاستقرار(٨٨) شركة تامة فى شئون الحياة.

والحكاية الاجتماعية عندما تتناول هذا الأمر فإنها تريد أن ترسى أسس الزواج الصالح صيانة لقيمة من قيم المجتمع التى تحفظ عليه تماسكه ولتثبت دعائم الأسرة على أساس سليم.

٦- **الأسرة**.. تعنى الحكاية الاجتماعية دائماً بالأسرة أشد العناية ومن ثم فهى تضع بين ثناياها حقوقاً وواجبات تثبت الأسس السليمة للأسرة وتهيئ الحياة المباركة لها مما يضمن لها أن تكون عضواً صالحاً يؤدى وظيفته أداء كاملاً للمجتمع الذى تعيش فيه.

ومن بين هذه الحقوق والواجبات أمور عمادها الاحساس والعاطفة والمشاعر والروابط النفسية..فالزواج - كما سبق - هو حجر الأساس والدعامة الكبرى التى يقوم عليها بناء الأسرة ففيه المودة والمحبة والتراحم والتعاون ثم هو أفضل وسيلة لحفظ النوع وخلق جيل صالح ينشأ فى حوزة الفضيلة وحنان الأمومة ورعاية الأبوة هذا إلى جانب تعويد الأب على تحمل المسئولية ومشقاتها..ثم أن تحقيق هذه المقاصد السامية واستقامة أمور الأسرة وقيامها بواجبها الاجتماعى لا يمكن أن يسير إلا إذا تساوت

دعامتاها الرجل والمرأة وأحسا بالعزة والكرامة وأمن كل منهما جور وبطش الآخر، لذا، فالحكاية الاجتماعية يدور مجالها حول غرس مبادئ التربية الدينية فى نفوس الرجال ومن ثم حمل هذه النفوس على طاعة الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتحلى بمكارم الأخلاق بالإضافة إلى تأديب المرأة بآداب الدين ومكارم الأخلاق..كل هذا من أجل حياة صالحة لأسرة سعيدة.

٧- **الصداقة**..يحفل المجتمع الإنسانى دائماً بالصداقة ذلك لأنه يحمل صوراً من الود والحب والصراحة وصوراً من الزيف والادعاء والتقلب..ونظراً لأن الصداقة حق وواجب فى المجتمع، لذا، فقد احتفلت الحياة الاجتماعية بها وجعلتها من بين مجالاتها التى تدور فيها..فالصداقة هى المرآه التى يرى بها الإنسان نفسه فإذا كانت واضحة سليمة كانت الرؤية صحيحة، وإذا كانت مشوهة كانت الرؤية خادعة ومن أجل هذا تحمل الحكاية الاجتماعية شروطاً للصداقة الحقيقية وهى(٨٩).

أ- الصراحة فى الحق.

ب- السمو فى المروءة.

جـ- الود والحب.

أما الصور الزائفة التى لا يرضاها المجتمع فترسمها الحكاية الاجتماعية فى:

أ- القرين الملازم.

ب- الرفيق المتقرب.

جـ- الصديق المدعى.

د- الصديق المتقلب.

وبالطبع يدور فلك الحكاية الاجتماعية فى هذه الصور لتنصحنا بالبعد عنها لأنه لا خير فيها ولا نفع من ورائها.

٨- **العفة والقناعة:**

إن النظر البصير إلى الحياة يجعل الإنسان لا يبتغى من حياته إلا ما بها من قوام العيش وأمن الحياة دون حرص على اللذات فيطلب من دنياه الأمن والعافية وقوت اليوم أما الإغراق فى المتاع فإنه فضول ليس من مطالب الحياة وليس من أهدافها. والحكاية الاجتماعية بهذا تدرك أنه لا علاقة بين حظوظ الناس من المال واحرازهم للثروة وبين حظهم فى الآخرة ونيلهم رضوان الله، ومن ثم فهى دائماً ترسم الصور المثالية للذين يسارعون فى الخيرات وينالون أرفع الدرجات حتى تتحطم المثل الزائفة التى كانت تغشى الأبصار فى أوقات التخلف والجهل.

٩- **التسامح**.يدور مجال الحكايات الاجتماعية أيضاً حول صلة الإنسان بغيره والتى تشتمل على السماحة والحلم وضبط النفس والعفو..والتى كلها من دلائل قوة النفس وارتفاعها عن سوءات الحقد ومشاعر السوء..

فالعفو والصفح فى الحكايات الاجتماعية هو سبيل من سبل التهذيب الخلقى الذى ينظف القلب من مشاعر الحقد ويطهره من نزعات السوء..وهذا بالطبع صادر عن وعى بأمن المجتمع وسلامته.

فصغار الأمور تهيج كبارها والتنازع يؤدى بقوة الجماعة إلى الهلاك والخصومة والقطيعة بين الجماعات والأفراد تزلزل أركان المجتمع وتجعله مسرحا للفتن والأحقاد..أما رباط الأخوة فهو من القوة والأصالة بحيث لا تضعفه أزمات الحياة وصعاب المعاملة.

ومن هنا يصبح العفو ضرورة يحتمها حفظ كيان المجتمع ويدعو إليها ما يجب أن يشيع بين الناس من حب ورحمة حتى تنمو الصلات وتقوى الروابط.

* **الحكايات الاجتماعية عند العرب**[٩٠].

لقد واكب الأدب العربى فى عصر ما قبل الإسلام حركة المجتمع ورسم صورته بكل دقة وعناية من خلال رصده لدقائق الحياة وشئون الإنسان

ومن ثم جاءت الحكايات الاجتماعية فى كتب التراث معبرة عن تلك الحركة..حيث اختصت بحياة الناس فى الزواج وهمومهم من فقر أو غنى وصحة أو مرض ولقاء أو افتراق، لكن أكثر ما يغلب على هذه الحكايات هو أنها ذات طابع شخصى تقص جزئيات حياة الإنسان اليومية.

- فمثلا فى كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى نجد قصة يوم اليمامة تقول القصة[٩١] ان منازل "**عمليق ملك طسم وأخيه جديس**" وهما من أولاد نوح عليه السلام كانت فى موضع اليمامة وكان عمليق فى أول حكمه قد تمادى فى الظلم وحرّم على رعاياه من جديس الزواج ببكر حتى ينالها هو قبل زوجها، فلقوا من ذلك بلاء وجهداً وذلاً، فلم يزل يفعل ذلك حتى زوجت "**الشمسوس**" وهى "**عفيرة بنت عباد أخت الأسود**" الذى وقع إلى جبل طئ فقتله طئ وسكنوا الجبل من بعده وأرادوا حمل "**الشمسوس**" إلى زوجها بعد أن يطأها عمليق، فلما فعلت من لدنه فى دمائها شاقة درعها من قبل ومن دبر والدم يسيل وهى فى أقبح منظر محرضة قومها على الثأر..ويأخذ أخوها الأسود..وهو سيد قومه يحرض جديساً للوقوف إلى جانبه ويتفق الرأى على دعوة (**عمليق**) إلى وليمة، فيأتى مع أهله يرفلون فى الحلى والحلل حتى إذا أخذوا مجالسهم ومدوا ايديهم إلى الطعام أخذ قوم "**جديس**" سيوفهم من تحت أقدامهم فشد الأسود على عمليق فقتله وكل منهم على جليسه حتى أماتوهم..وتستمر الحكاية بلجوء بقية طسم إلى حسان بن تبع الذى يهاجم جديساً ويخرب ديارها، ولكن الأسود يهرب ويقيم بببلى طئ قبل نزول طئ إياهما، وكانت طئ تسكن الجرف من أرض اليمن وسيدها أسامة بن طئ وتشكو من مسبعة الوادى لقلة عددها، لهذا لحقت بعيراً كان يزورها فى أزمان الخريف أملاً فى ريف خصب حتى وصلت إلى الجبلين حيث يجد أفرادها النخيل والمواشى، وكذلك الأسود بن عباد فيأتمرون ضده ويرميه الغوث بن أسامة بسهم يقتله..

وبالطبع هناك مثيلات لهذه الحكاية قبل الإسلام - كثير كثير - نجده مدوناً فى الكتب أما بعد الإسلام فالحكايات الاجتماعية كانت بمثابة ثورة اجتماعية شاملة هدفها تغير المجتمع، ولذا..استخدمت كل السُبل من أجل تحقيق هدفها..حيث نجد الخلفاء الراشدين أباحوا القص فى المساجد ثم زاد الأمر

وحولها معاوية إلى وظيفة رسمية ثم جاءت الدولة الفاطمية وبنــــت الأزهــر الــذى اعتمد على القص والحكاية كوسيلة من وسائل الدعوة بكل ما يحيـــط بــها من سرية وغموض وتأويلات الأمر الذى يُفسر بأن الهدف مـــن وراء هــذه الحكايات كان سياسياً رغم أنه يحمل الطابع الدينى لكن مع ذلــك كلــه فإنه فى جزء كبير منه كان يمس النواحى الاجتماعية كوسيلة مـــن وســائل الوصول الى الهدف المنشود.

ولو نظرنا إلى كتاب **(المكافأة)** "**لابن الداية**" لوجدنا أنه مجموعــة قصصيــة رائعة تحتوى على عدد من القصص المكتوبة بعناية فائقــة والتـــى تعــرض المجتمع فى صور واقعية دقيقة وزاخرة بالمشاعر ولعلنا لا نعدو الحقيقـــة إذا ما قلنا – كما يذهب الدكتور/ محمود ذهنى – ان هذا الكتاب يعتبر نموذجـــاً مــثالياً وفريداً لمجموعات القصص القصيرة التى لم تظهر فى الآداب الغربية إلا من قرن واحد فقط.

– وكتاب مثل "**كليلة ودمنة**" يدخل بسهولة تحت هذا المجال..كما يدخل معــه قدر كبير من حكايات "**ألف ليلة وليله**" وغيرهما مما يوجد بين ثنايا الكتـــب وتنوء عن حمله المكتبة العربية.

الفصـــل الثـــالث

حكايات البحر والعشق والكيد والمجون

أ- حكايات البحر:

بداية تقول كتب اللغة أن البحر سُمى بحراً لاستبحاره أى اتساعه ومنه استبحر فى العلم والمال.

والنسب إلى البحر بحرانى كما يقول "سيبويه"، وحكى غيره بحرى، وجمع البحر بحار وبحور وأبحر..ولجة البحر حيث لا ترى أرضاً ولا جبلاً، وللبحر فى اللغة عدة أسماء منها "الكافر، اليم، الخضم، الحنبل"(٩٢) وقد ورد ذكر البحر وما فيه فى القرآن الكريم"(٩٣)....وعليه، فإن البحر وما يتطلبه من عمل جماعى يحتاج إلى الألفة والتعاون والمسئولية والصبر ومن ثم نشأت الأغانى والأهازيج لكن أثناء الغناء نجد البحارة يستعيدون ذكرياتهم المحببة إلى نفوسهم بقصص وحكايات وما تحمله من أساطير..لكن قد يتصور البعض أن المادة التى تقال فى ذلك ليست إلا مادة يتسلى بها البحارة ويتمتع بسماعها الخلف عن السلف إلا أنها فى الحق أكبر من هذا قيمة..فهى حافلة بحكمة الأيام وتجربة الزمن..حافلة بشواهد التاريخ ومعالم حياة البحر عبر الزمان ومن ثم فهى تعد التفسير لما يقال عن معتقدات ومعارف مرتبطة بالبحر ومغامراته لكى تكون نبراساً لهؤلاء الأحفاد من هؤلاء الأجداد.

مجال حكايات البحر:

بما أن حياة البحر أنتجت ذكريات قصصية مشوقة يرويها السلف للخلف، لذا نجدها تتحدث عن حياة البحر المضنية وعمل البحارة الشاق المتعب والمخاطر التى يتعرض لها الغواصون وتتحدث عن السفن وأدواتها وأنواعها ورحلاتها ومن ثم فهى تتحدث عن الأعاجيب مثل (بقره البحر التى كانت مصدراً لكثير من القصص والأساطير التى تناقلتها الأجيال ورواها البحارة فى الماضى عن عرائس البحر) (٩٤) كما أنها تتحدث عن الحيتان وصورها العديدة....وعن الجزائر التى تنبت الذهب والجواهر والقصور(٩٥) وغير ذلك من المعتقدات والمعارف فى البحار والجزائر وعجائبها..وكذا

أيضاً قصص التجار والبحارةعن تلك الحيوانات البحرية الأليفة والمتوحشة..الخ.

*** حكايات البحر عند العرب:**

لقد عرف العرب البحر واتجهوا بسفنهم إلى كل مكان وكان دليلهم فى رحلاتهم البحرية النجوم التى عرفوا كثيراً منها وصاحبوها فى حلهم وترحالهم ثم توصلوا فيما بعد إلى معرفة البوصلة، وكانت الرحلات البحرية العظيمة التى قام بها البحارة أكبر دليل على مهارتهم فى الانتصار على الظروف الصعبة وتخطى العوائق.

هذا وكان الملاحون العرب قبل اختراع البوصلة وبعدها يستخدمون كتب المعلومات البحرية التى كانت تتضمن جداول فلكية، كما تضمنت الكتب معلومات عن الرياح وطبيعة السواحل والصخور المرجانية القريبة من سطح الماء والمعالم الموجودة على اليابسة وكل الإشارات الطبيعية التى تذكرها القصص والحكايات..مثل أفواج الثعابين البحرية التى تدل على الاقتراب من ساحل الهند بالنسبة للسفن المبحرة من الجزير العربية[٩٦].

لكن رغم كل هذا فإن العرب قد ذهبوا فى تراثهم القصصى مذاهب أكثر تخيلاً من تلك التى ذكرتها كتب المعلومات.

فالمسعودى[٩٧] يذكر البحر المحيط وما فيه من العجائب، "والدميرى"[٩٨] يذكر المعتقدات حول حيوانات البحر ثم عجائب وغرائب جزائر بحر الصين "والابشيهى"[٩٩] يذكر لنا عجائب الحيوانات البحرية بجانب التفسير الاسطورى لظاهرة المد و الجزر فى البحار وكذا أيضاً "**الجاحظ**"[١٠٠] و "**ابن عبد ربه**"[١٠١] و "**ابن قتيبة**"[١٠٢] و "**القزوينى**"[١٠٣] **هذا من ناحية.**

- **ومن ناحية أخرى**[١٠٤] فقد روى التجار العرب الكثير من القصص البحرية التى جمعت بين التصوير الواقعى والتصوير الاسطورى لعالم البحر وأثرت أدب البحر العربى بالقصص البحرية الغنية بالمعلومات عن البحار والأنواء

والرياح..وبالحكايات الشعبية والأسطورية التى حاكت منها "ألف ليلة وليلـــه" أعظم القصص البحرية فى الأدب الشعبى العربى، كمـــا أفضـــت إلـــى أدب المرشدات البحرية..وكان معظم هؤلاء التجار الرحالـــة مـــن أبنـــاء عمـــان وسيراف والبحرين وغيرها من موانى الخليج العربى غير أن هؤلاء التجـــار لـــم يدونوا مشاهداتهم وقصصهم بل اكتفوا بروايتها وقصها شفهياً، وقد اتصل بهم المسعودى، وذكر ذلك فى كتابه **"مروج الذهب"**.

أما قصص ومذكرات التجار العرب فقد ضمنتها كتـــب الأســـفار والعجـــائب بجانب ما حملته هذه القصص من ذكر لظواهـــر هيـــاج البحـــر والتيـــارات والدوامات والنافورات البحرية وأسماك القرش المتوحشة..الخ الأمـــر الـــذى يؤكد أن البحر معجزة مستمرة تحتوى الأمواج والسفن والصخور والاســـماك والعجائب وأيضاً الحكايات..أنه انطلاق إلى عالم بلا حدود.

ب- حكايات العشق:

قصص الحب..هى فى حقيقتها ظاهرة عشق وتغزل..ذلك لأن الحب هو عاطفة انسانية فطرية مليئة بالأشواق تجاه المحبوب، والرجـــل والمـــرأة مزيجان فى هذا الأمر.

فكما أن للرجل دوراً أساسياً يكون للمرأة أيضاً عَدم تحرج فـــى البـــوح بمـــا تحمله فى قلبها ومشاعرها دون خجل أو مواربة..

ولما كان البشر فى كل هذا سواء..لذا فـــإن البشريـــة - أنتجـــت فـــى هـــذا الـــمضمار قصصاً وحكايات لا تعد ولا تحصى..من حـــب وعشـــق..مـــن روايات غرام تختلج بالعواطف والغرائز على السواء.

*** مجال حكايات العشق:**

غالباً لا نجد بطلاً فى المجتمع إلا وتقف وراءه امرأه(١٠٥)..وبالتـــالى فالعلاقة بين الرجل والمرأة هى علاقة تحددها مكانة المـــرأة عنـــد الرجـــل وترسمها عاطفة المرأة تجاه البطل..

فالمرأة..هى **"الأم المحبـــة"**..و **"الفتـــاة المحبـــة"**..هـــى الانســـانة الخـــيرة المعطاءة.انها الصورة التى رسمها الشعر للحـــب..الحـــب العـــذرى البـــالغ التطهر..والحب البالغ الارتباط بالجنس.

ومـــن ثم فالحب بهذا المعنى واقع نفسى ومزاج جمالى وحياتى معـــاً..لـــذا فهناك مع هذا الحب نجد العاطفة الثرية المليئة بالمتناقضات..

هناك عاشق عارم زئر نساء، وهناك عاشق مجنون مسلوب الارادة، وهنـــاك عاشق عابث لاهى..الخ، وهناك عاشق ولهُ ملتاع.أنه الحب الذى يبـــدأ مـــن الالتفات ويندرج إلى التوله حيث يرســـم لنـــا صـــورة ممزوجـــة بالآمـــال والآلام..صورة تتحكم المرأة فى رسم ملامحها.

وعليه، فكل هذا..مجاله هذا اللون من الحكايات والذى يعد أخصـــب وأوفـــر أنواع القصص فى نفوس الناس.

*** حكايات العشق عند العرب(١٠٦).**

يعتبر الأدب العربى فى هذا المجال أسبق من الآداب الآخرى..حيث أنه يزخر بألوان عاشت قبل ظهور مثيلاتها فى الآداب الأجنبية الأخرى بألف عـــام..لكن الباحثين ألصقوا فى فترة من الزمن تهمة القلة وعـــدم المعرفـــة للأدب الـــــعربى للقصـــص، وبالتـــالى لصقـــت هـــذه التهمـــة بـــالقصص العاطفى..لكننا لو رجعنا إلى الأدب العربى فى فترة ما قبل الإسلام لوجدنـــا قصصاً استقى منها الغرب الفكرة والمضمون وغير فى الشكل فـــى أســـلوب اشـــتهر هو به فى جميع المجالات ألا وهو التزييف..لقد زيف الغرب **"روميو** وجيوليت" وأدعى أنها الأولى من نوعها وأن شكسبير هو أول من ألفها..

لكننا نعرض من كتاب التيجان "**لوهب بن مبنه**" صورة قصصية لقصة الحب العربية أنها "**مضاد ومىّ**" كى ترد على هذا الزيف..ولنترك القارئ للصورتين [**روميو وجيوليت، مضاد ومى**] وليفصل بنفسه وليدقق فى الفترة التى عاشها "**شكسبير ووهب بن منبه**"..أنها الحقيقة التى لا مراء فيها..ألف عام يسبق بها وهب شكسبير..ومن يدرى لعل هناك حكايات أخرى لم يُكشف النقاب عنها..ضاعت مع دوامة الزمن أو زيف حقيقتها المستعمر.

ورغم ذلك فهناك قصصاً أخرى مثل قصة "البراق، وقصة عنتر وعبلة" قبل الإسلام و "قيس وليلى" و "جميل وبثينة"، و "قيس ولبنى" و "كثير وعزه" بعد الإسلام غير قصص الاباحيين فى مكة والمدينة وعلى رأسهم "الأحوص" و "عمر بن أبى ربيعة". والواقع أن العرب أداروا قصص الحب فى جميع المجالات التى تحمل مضامين درامية مؤثرة وعميقة فى حياة البشر أجمعين..فالجن عندهم خفقت له كل القلوب..فمن حب الأكفاء وإلى حب أمير لبدوية أو أميرة لحطاب وحتى العابد الورع المتهدج "عبد الرحمن القس" أحب (سلأمه) القينية المغنية..وفى كل قصة حب يدور صراع مرير بين الوفاء والولاء والقيم وبين الغدر والخديعة والأنحراف ثم فى النهاية تكون التضحية كأنبل وأسمح ما تقدمه النفس البشرية لأقوى وأسمى العواطف الإنسانية، ولعل قصص الحب التى كتبها (أنطون دى لاسال) مفتتحاً بها عصر الرومانسية للأدب الفرنسى أن تدلنا على المنبع العربى الذى استقى منه "دى لاسال" فنه الجديد والذى أصبح سمة للأدب الرومانسى والواقعى من بعده.

وإذا كانت قصص الحب العذرى وغير العذرى - لعشاق صدر الإسلام توجد مستقلة أو شبه مستقلة فى كتب المكتبة العربية القديمة فإن جميع كتب الأدب تقريباً ابتداء من كتاب الأغانى للأصفهانى إلى كتب

شواهد النحو نلتقى فيها بأعداد من حكايات الحب التى لازالت حتى الآن فـــى انتظار الباحث الذى يجمعها فى دراسة منهجية مثمرة.

جــ- حكايات الكيد والمجون:

بداية..مجن الشئ مجوناً إذا صلب وغلظ ومنه اشتقاق الماجن لصلابة وجهه وقلة استحيائه..والماجن عند العرب: الذى يرتكــب المقــابح المرديــة والفضائح المخزية، ولا يمضه عذل عاذله ولا تقريع من يقرعـــه..والمجــن خــلط الجد بالهزل..ويقول ابن سيده: الماجن من الرجال الذى لا يبالى بمـــا قال ولا ما قيل له كأنه من غلظ الوجه والصلابة..قال أبو العباس: سمعت ابن الأعرابى يقول المجان عند العرب، الباطل(١٠٧).

وعليه، فإن اللهو والعبث والترف الزائد عن الحد فى المعيشة وشرب الخمر فى المجالس والنوادى، والغناء والرقص وما يصاحبـــه مـــن بـــاطل الخلاعة والنجاسة وألعاب القمار ومـــا يصاحبـــها مـــن أســـراف وضيـــاع للأمـــوال..فى المجتمعات البازخة..يسمى بظاهرة المجـــون والكيـــد حيـــث الشرب والنشوة وما يليه من أثار فى الجسد والعقل..وحيث الشعر والطـــرب وما يليه مـــن زلزلة القلـــوب ووهـــن الأروح..وحيـــث الخيانـــة والمكـــر والـــخديعة.. ورغـــم أن الـــقرآن الكريم قد نهى عن ذلـــك وحـــض علـــى اجتنابه اذ يقول جل وعلا فى كتابه العزيز [إنما الخمر والميسر والأنصـــاب والأزلام رجس من عمـــل الشيطان فاجتنبوه لعلكـــم تفلحـــون. إنمـــا يريـــد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكـــم عـــن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون] (١٠٨). رغم ذلك فإن الناس قد اجتهدوا عند بعض الفقهاء من أجل تحليل ما حرمه الله..وما أن نالوا ما أرادوا تهالكوا عليها..فشربوا وامعنوا فى الترف تـــحدياً منهم لكل ما هو محرّم..ولذا فدارت حولهم الحكايات والقصص كاشفة أغلاطهم وراسمة نهجهم السئ الـــذى أدى

بهم فى النهاية إلى المهالك وزوال النعمة..متخذه فى ذلـك أسـلوب الوعـظ والإرشاد والتحذير حتى يعتبر أولو الأبصار.

وبالطبع هذا عكس ما قيل من شعـر حـول الخمـر مـن فحـش وخلاعة..إذاً فحكايات المجون والخلاعة تهدف إلى كشف أغلاط بعض الناس بغية تفريغ المجتمع من جرثوماته الآثمة، ولذا فهى تعرض تلك الصور فـى غير خجل اجتماعى أو تحرج دينى..واضعة فى اعتبارها أنه لا يفل الحديـد إلا الحديد وأنه لكل فعل رد فعل مساو له فـى المقـدار ومضـاد لـه فـى الاتـجاه..أما أن يتصور البعض أنها تعرض صوراً غـير أخلاقيـة علـى مـجتمع يسعى إلى تربية مثالية فهذا تصور مردود فى اعتقادنا ذلك لأن الذى تعرضه تلك الحكايات ما هو إلا مرآة للآخرين تكشف عيوبهم مـن خـلال مـاضى كريه وتحذرهم من الوقوع فيه لأن الشـر نهايتـه شـر وعاقبتـه خسران، أما الخير فختامه مسك ومن ثم فعرض تلك الصور من الحكايات ما هو إلا توجيه وتحذير بل وجرس انذار لمن يسلك هذا الطريق.

ولعل فى كتاب الله خير مثال على ذلك حيث يعرض صـوراً أليمـة لماضى أليم من الكفر والفحش، وغير ذلك مما يجعلنا نتلمس منـها العظـة والعبرة.

يقول تعالى:

[يد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم والله عليم حكيم](١٠٩).

ويقول:

[هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون] (١١٠).

ويقول:

[وتلك الأمثال نضر بها للناس لعلهم يتفكرون] (١١١).

ويقول:

[ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد] [١١٢].

ثم قصة سيدنا يوسف مع إمرأة عزيز مصر وما فيها من تصريح لكن بأسلوب رباني بديع[١١٣] أليس كل هذا ما يثبت صدق ما نقول....

*** مجال حكايات الكيد المجون:**

من خلال ما سبق يمكن القول أن حكايات المجون والخلاعة والنجاسة تدور حول شرب الخمر وما تسببه من ذهاب للعقل وهيام فى الغرام لا يهدأ إلا بالشرب المتتابع وتدور حول وصف الندماء والسقاة والكئوس والقاعات التى يدور فيها هذا الشراب..وكذا أيضاً تدور حول الغناء والرقص فى حانات الشرب وغناء القيان وما حوله من ضرب الطبول والدفوف، وكذا فى مناسبات الأعياد مع اختلاف لكل قانون للخلق والعرف والدين.

إنها تدور حول العلاقات الآثمة وما تتخذه من الفتنة والاغراء والريبة هذا بجانب آفة التعلق بالغلمان الخصيان الذين تسقط عنهم رجولتهم حيث التشبه بالنساء فى الثياب والعادات.

ومن جهة أخرى نجد حكايات تدور حول الكيد وما تتميز به خيانة وخديعة ومكر ودهاء..صادرة من المرأة لأغراض سياسية..

*** حكايات الكيد والمجون عند العرب[١١٤].**

لقد ورث المجتمع العربى فى زمن العباسيين كل ما كان فى المجتمع الساسانى الفارسى من أدوات لهو ومجون، وساعد على ذلك ما دفعت إليه الثورة العباسية من حرية مسرفة فإذا الفرس المنتصرون يمعنون فى مجونهم ويمعن معهم الناس فقد مضوا يعبون الخمر عبّاً ويحتسون كئوسها حتى الثمالة وحاكاهم من عايشوهم حتى أصبح الإدمان عليها ظاهرة عامة هذا ولقد زاد الأمر فداحة أن اجتهد بعض فقهاء العراق فى تحليل بعض

الأنبذة كنبذ التمر والزبيب المطبوخ أدنى طبخ ونبيذ العسل والبر والتين..فشرب الخلفاء هذه الأنبذة وشربها الناس، وتهالك بعض الناس إمعاناً فى المجون على أنواعها المحرمة بإجماع الفقهاء....هذا وتذكر كتب التراث(١١٥) أنه نتيجة الثراء الفاحش عاشت طبقة الخلفاء والحكام رخاءاً وترفاً خاصة من تلك الأموال التى كانت تأتيهم عن طريق الضرائب التى كانت تؤخذ من الناس وكانت متعددة..ومن ثم توسعوا فى البذخ واللهو والمجون ومن ذلك ما يروى عما كان يفعله الخلفاء العباسيون حين ينثرون الأموال نثراً على حواشيهم وفى أعراسهم كما حدث فى زواج الخليفة الطائع لابنة "بختيار" وزواج الخليفة المقتدى بنت السلطان ملكشاه وزواج الخليفة المستظهر بالله من الخاتون ابنة ملكشاه.

ثم أن الأمر لا يقف عند هذا الحد بل وصل إلى مبالغة نساء الخلفاء وجواريهن فى زينتهن وانفاق الملايين فى بناء القصور ونقلها من ترف إلى ترف يفوق ويفوق..وبالطبع تحت هذا الستار المترف والزينة المبالغة كانت ترتكب أفحش الفواحش من شرب الخمر وغناء القيان وضرب الطبول والدفوف والرقص..ولم يقتصر الأمر على هؤلاء الحكام فقط بل تعدى إلى الناس..فتخرجوا للشراب واللهو المباح وغير المَباح والفرجة على أصحاب المساخر..وكان منهم من يتهادون على صفحة دجلة فى القوارب الجميلة ومنهم من يبتعد فى البساتين.

غير أن الأمر لم يقتصر على الاحتفالات العادية وانما كان للأعياد نصيب فى هذا الترف والبذخ والفجور سواء فى أعياد الإسلام أو أعياد الفرس أو أعياد النصارى.

ومما لا ريب فيه أن ادمان الخمر دفع إلى كثير من المجون والعبث والاباحية ولما كان المجتمع مملوءاً بكثير من الزنادقة والملاحدة واناس من ديانات مجوسية وغير مجوسية، لذا فكان ارتكاب الآثام وامتهان كرامة

الإنســان شيئاً عادياً..حيث كانت المداعبات والبسمات والغمــزات بطــرف العيــن من الجوارى اللاتى ليس لديهن قيم، ولا دين وكـــان أيضــاً منــهن الواحدة لا تكتــفى برجل واحد..وقد دفع هذا التسيب والفساد الخلقـــى إلـــى انتشار الغزل المكشوف الذى لا تصان فيه كرامة المرأة والرجل معاً وظهور آفة التعلــق بالغلمان وغير ذلك لكن رغم كل هذا إلا أن الحياة بصفة عامة لم تكن كلها مجوناً وتهالكاً على الفجر والعهر وإنما كانت هناك حياة مســـتقيمة طاهرة يحوطها الخلق والتقاليد والدين والعفاف خاصة من أولئك الذيـــن لـــم تصبهم فتنة المال والثراء الفاحش..من أولئك الذين كانوا يدفعون الضرائـــب ويعملون ويكدحون من أجل حياة كريمة يسودها الحب والخلق والدين.

هذا من ناحية..

ومن ناحية أخرى..فإن كتب التراث لا تقف عند هذا الحد بل نجدهــا تحتوى على حكايات كيد أخرى طرفها المرأة..حيث الحيلة والمكر والخداع، ولم يكن هذا الأمر مقصوراً على عصر بعينه وإنما هو موجـــود فـــى كـــل العصور..لكنه برز بصورة واضحة عند الأمويين حيث استخدم هـــذا اللـــون للتنديد بأيام حكمهم..وفى المقابل نجد خصوم العباسيين يخوضون فـــى اليـــم نفسه ولكن بصور أقرب الى عروض للسير الشخصية للخلفاء منهم..تتنـــاول مباذلهم وتغوص فى دقائق أمورهم مما يبطن كيداً يمكن استشفافه بسهولة.

الفصـــل الرابـــع

حكايات البطولة والمرح والأمثال

أ- حكايات البطولة والتاريخ:

بادئ ذى بدء..التاريخ والأدب رفيقان متلازمان خاصة تلك الفترة الماضية التى كانت فيها الأحداث التاريخية هى أحد أسلحة الأديب فى كتاباته..وعلى الرغم من مرور وقت طويل على هذا النهج إلا أنهما لا يفترقان..بل زادت عرى الصلة بينهما لدرجة أن القارئ ليتخيل أن كتب الأدب فى صورتها كتب تاريخ..أو أن التاريخ كتبه أولئك الذين أسموا أنفسهم أدباء.

وعليه، فإن (التاريخ بالنسبة للأديب هو المجال الخصب الذى يلهمه الإبداع ويقدم له النماذج..ومن ثم فلم يعد بوسع المؤرخ أن يتجاهل النتاج الأدبى على شتى مستوياته إذا أراد استرداد صورةِ عصر ما أو مجتمع ما من ذمة الماضى.

هذا وإذا كان الإنسان هو الموضوع المشترك لكل من التاريخ والأدب فإن هذا الإنسان هو صانع التاريخ ومبدع الأدب..،والزمان اطار هام للتاريخ والأدب على حد سواء) [١١٦].

من هذا المنطلق برزت كتب الأدب تحمِل صوراً لأحداث الماضى فى صورة حكايات وروايات تصور الواقع السياسى لتلك المجتمعات التى عاصرها أولئك الكتاب، وتحمل صوراً لأولئك الذين كان لهم دور فى التنفيس عن كاهل الضعفاء.

أولئك الرجال الذين وقفوا فى وجه الحكام ليكبحوا جماح ظلمهم، وساروا ضدهم سيراً مضاداً..فكانوا بالنسبة للشعب رموزاً للبطولة وكانوا بالنسبة للحكام لصوصاً وصعاليك وعيارين (أنهم الفتوة الذين انبروا ساخطين على الحكام المترفين حيث كانوا ينادون بفكرة العدالة الدينية) [١١٧].

وعليه، فقد كانت الكتابة عنهم بمثابة الحافز للمقاومة أو كان الأدب الدائر حولهم بمثابة (أدب المقاومة الشعبية) [١١٨] إلا أن هذا ليس ضد الحكام

الميئوس من حكمهم فقط (ص١٠٨) بل كـــان مـــن أعـــداء البـــلاد بصفـــة عامة..ومن ثم فقد تلقى أولئك الكتاب أحداث عصورهم (وصاغوها صياغـــة وجدانية كي يكونوا معبرين عن رأى الناس الحقيقى فـــى حـــوادث التـــاريخ وأشخاصه..ولما كان المجتمع البشرى فى حاجة دائمة إلى معرفة تاريخه لكى يـــظل على اتصال بماضيه رغبة فـــى فـــهم الحـــاضر واســـتشراف آفـــاق الـــمستقبل) لذا فإنه....ينظر إلى التاريخ الذى يحمل له الواقع أو جزءاً مـــن هذا الـــواقع لكن بأسلوب يحمل الانفعال النفسى أو الرؤية العاطفيـــة لذلـــك الحدث أو لتلك الشخصية[١١٩].

*** مجال حكايات البطولة والتاريخ:**

لما كانت حكايات البطولة والتاريخ تحمـــل رؤيـــة نفسـية لأحـــداث الماضى أو لأولئك النفر الذين اختلفت وجهات النظر حولهم..لذا فإنها تـــدور حول أخبار الدول وعلاقاتها واتصالاتها وواقعها السياسى بجانب انطباعـــات الكتاب حول هذه الأخبار ثم أنها تدور حول الحروب والأيام والمواقع التـــى مـــرت على هذه الدول.. هذا بجانب تناولها لصور أولئك الذين رآهم المجتمع رمزاً للبطولة والشجاعة والشهامة والمروءة فكانوا فتوات وما يحملونه مـــن معانى أخرى للفروسية[١٢٠] حيث القوة وفن القيادة ونجدة الملـــهوف والكـــرم والمحافظة على كرامة الإنسان والمراوغة وسرعة الحيلة....الخ.

*** حكايات البطولة والتاريخ عند العرب[١٢١].**

لم يكن العرب – كما ذهب دعاة الهدم ورجال الأستعمار الثقـــافى – مجموعة من رعاة الصحراء متفرقين بين رمالها وإنما كانوا دولة اجتماعيـــة متحضرة لها علاقات واتصالات وتأثيرات، لقد كـــانوا علـــى معرفـــة تامـــة بأخبارهم القديمة جداً...بل كانوا على معرفة تامة بأخبار الـــدول المجـــاورة لهم..وليس هناك دليل على ذلك أقوى من القرآن الكريم، وما احتوى عليه من قصص الأمم البائدة والملوك الأقدمين..ثم بعد ذلك المجالس والمنتديات التـــى

كان يسرد فيها تلك الأخبار فى أسلوب قصصى ينبئ عن عقليـــة قصصيــة بارعة وبالطبع لم يكن هذا من فراغ.

فالعائد للمكتبة العربية والمتصفح لكتبها يجد أعـــداداً ضخمـــة مـــن الـــقصص فى مجلدات مختلفة، ومع ذلك تجاهلها الدارسون وهضموا حقـــها فى الحياة..حيث اتهموها بالزيف والفساد عندما لم يجدوا فيها ما يشبع رغبتهم الـــتاريخية..أو الأدبية فلا هى كتب تاريخ..ولا هى كتـــب أدب..ومـــن ثـــم طردت من حظيرة الانصاف أنها قصص تاريخية حربية..تحمـــل البطولـــة والحروب والأيام والمعارك والمواقع التى دارت بين العرب فكـــانت بمثابـــة تراث متعدد المشارب والاتجاهات.

إنها قصص تاريخية لو رجعنا بها قليلاً إلى الوراء لعرفنا قيمتها الفنية والضمنية.

فهذا "**النضر بن الحارث**" الذى كان يؤذى رسول الله (ص) فـــى أول دعوته..حيث كان يجلس بين قومه ويحدثهم أحاديثاً عن الأمم الماضية..الأمر الذى دفع رسول الله (ص) إلى تحذير قومه مما يسمعونه منه..حيث يقـــول [أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلموا إلىّ فأنا أحدثكم أحسن مـــن حديثه] ثم يحدثهم عن ملوك فارس وعن "**رستم وأسفنديار**".

ثم ماذا بعد..

أليس فى المكتبة العربية كتب تثبت ما نقول؟....إنها مليئة ومتخمة.

فهذا كتاب "**التيجان – لوهب بن منبه**"، وذاك كتاب مجالس "**عبيد بن شريه الجرهمى**"..الأول يحكى قصة ملوك اليمن فى قالب روائى تجـــد فيـــه الـــجذور الأولى لفكرة "**الملاح – التائه**" و "**روميو وجوليت وأرض العماليق والأقزام وحكايات الاسكندر ذى القرنيين والخضر**" وغيرهم من المعالم الهامة لتاريخ الدول التى كانت محيطة بالجزيرة العربية مع ربطها قصصياً بتـــاريخ العرب وأحوال أمتهم منذ "**نوح والخليل ابراهيم**".

أما الكتاب الثانى فهو عبارة عن محاضر الجلسات التى عقدها معاوية بن أبى سفيان ليستمع فيها إلى قصص "**عبيد بن شرية الجرهمى**" عن ملـــوك اليمن الأقدمين وأخبار الأمم السالفة حيث كـــان لـــه ولـــع خـــاص بذلـــك، فـــالمسعودى يروى عن معاوية أنه كان يستمر إلى ثلث الليل فى سماع أخبار العرب وايامها والعجم وملوكها ثم ينام ثلث الليل، وبعد ذلك يقعد مرة أخـــرى لسماع سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد وطرق سياسة الناس..وقـــد أشار عليه "**عمرو بن العاص**" بأن فى اليمن راوياً ممتازاً لتلك الأقاصيص فلم يدخر وسعاً فى استدعائه والاستماع إليه مع ترتيب غلمان يدونون كـــل مـــا يصدر عنه فكان نتيجة ذلك هذا الكتاب القيم مجالس "عبيد بن شريـــة" الـــذى يعتبر من أقدم المدونات العربية.

ثم أن هناك تلك القصص التى أطلقوا عليها منذ عصر ما قبل الإسلام اسم "**أيام العرب**"..والتى هى مجموعة كتبها العرب حـــول حروبـــهم وايامهم ومواقعهم..فعلى سبيل المثال نجد فيها حرب "**البسوس**" بيـــن "**بكـــر وتغلب**" وحرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان والتى استمرت كل منـــهما أكثر من أربعين عاماً وأنتجت أعداداً كثيرة من القصص التى يتوفر لها البناء الفنى السليم والتى تحوى من المضامين الدرامية ما بهر الأوربييـــن بعـــد أن وصلتهم الحضارة العربية عبر الأندلس فلم يتوانـــوا عـــن اقتبـــاس الأفكـــار الأساسية لبعض تلك القصص أو احتذائها أو التعلم منها..

أما كتب التاريخ منذ "**الطبرى حتى ابن خلدون**" فهى لا تعتبر كتـــب تاريخ بالمعنى العلمى ولكنها أقرب إلى القصص التاريخى ذلك لأن أصحابها كانوا يكتبون كل ما يصل إلى سمعهم من أخبار الأقدمين.

ومن ثم فحركة التاريخ والقصص كانت واحدة من الحركات الفنيـــة والعلمية التى نبعت كضرورة حتمية لمحاولة فـــهم القـــرآن وشـــرح آياتـــه

والتعرف على أحكامه فهذا "**السيوطى**" يقول فى الجزء الثـــانى مــن كتابـــه الاتقان.

"وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والأمـــم الخاليـــة ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشيـــاء وسموا ذلك بالتاريخ والقصص".

أما الأستاذ/ "**أحمد أمين**" فيلاحظ فى كتابه "**فجر الإسلام**" هذه الظاهرة بقوله (ويدل على ذلك أنك لو تتبعت فى "**ابن جرير الطـــبرى**" مثـــلاً سلســـلة روايته وجدت أن الرواة الثلاثة أو الأربعة الذين يتصلون بحياته كـــانوا فـــى "**العصر العباسى**"، وهؤلاء يروون عمن قبلهم ممن كانوا فى عهد "**الأمويـيـــن أو الخلفاء الراشدين**"، أعنى بذلك أن هذه الحوادث كانت معروفة فـــى ذلـــك العصر، و "ابن اسحق وامثاله إنما دونوا ما كان معروفاً وجمعوه) (١٢٢) ....ثم أن هـــناك بعد ذلك تلك الحكاية التى دارت حول العيارين فى بغـــداد طـــوال القرنين الرابع والخامس الهجريين..حيث الترف والنعيـــم والـــبزخ للـــوزراء والقواد وكبار الموظفين والاقطاعيين والتجار الموسرين والجـــوع والبـــؤس والمسغبة والتعاسة لباقى الناس من العامة..الأمر الذى تمخض عنـــه بـــزوغ فكرة الفتوه التى دخل فيها أهل بغداد أفواجاً، وكان ممن انتظم فيها "شـــــهاب الدين الغورى سلطان" غزنة والهند، وكذا أيضاً السلطان العـــادل "الأيوبـــى وأبناؤه" بغية انقاذ بغداد من العيارين والنهب والسلب المستمر وتوجيه الشباب إلى اتخاذ الفتوة الفاضلة درعاً فى حروبهم مع اعدائهم من الصليبيـــن وهنـــا تحولت تلك الفتوة إلى نظام كتب فيه العلماء كتبهم ومن أهمها (الفتـــوة لابـــن المعمار البغدادى).

ولعل المتحقق من حكايات "ألف ليلة وليلة" ليلمح الحروب الصليبيـــة وما دار حولها من بطولات، وحكاية "**شمشون ودليلة**" وحكاية "**على الزيبق**"

وغير ذلك. كثير كثير..نرد به على تلك المزاعم الباطلة والمحاولات البائرة الهادفة إلى محو الهوية الثقافية للتراث العربى الأصيل.

ب- حكايات المرح:

تعتبر الحكايات المرحة نوعا من أنواع الحكايات الشعبية القصيرة جداً حيث تدور حول الحياة اليومية وتغلب عليها المفارقات الناجمة من الغباء والخدعة والبلادة وهذا ما يعرف فى الأدب العربى باسم النوادر مثل (نوادر الظرفاء ونوادر السكارى والبخلاء والمغفلين..الخ) (وتعرف أيضاً فى الحياة الشعبية باسم النكتة)(١٢٣) إلا أن وصفها بالنادرة أو النكتة سوف يدفعنا إلى أن نميز بينها وبين سائر أنواع الفكاهات المختلفة (فالالفاظ العربية التى تدل على الفكاهة والمرح كثيرة..فمنها المزاح، واللمز، والسخرية، والحكاية الهزلية، والقفشة، والمفارقات والنادرة) (١٢٤) ثم فى النهاية النكتة.

فالمزاح (ينبع من لحظة مرح يعيشها الإنسان بقصد التخفيف عن متاعبه النفسية، وقد يصل المزاح إلى حد النكته إذا نجح المازح فى اختيار الألفاظ ذات المغزى المزدوج وفى اصابة المعنى بالتلميح السريع) (١٢٥) أما اللمز فهو (تهكم بموضوع بعيد عنا أى أننا نقف منه وجهاً لوجه دون أن تربطنا به علاقة عاطفية، وأما السخرية فهى نقد لاذع يحمل علاقة عاطفية قوية بين الساخر وموضوع سخريته، والساخر يكون واعياً بسخريته إلى درجة أننا نحس بكل ظلال التجربة منذ احساسه بعدم الرضاء حتى مرحلة التعبير عن هذا الاحساس (وبدلاً من أن يثير الضحك فإنه يثير الكراهية مرة والاشمئزاز مرة..ولكنه آخر الأمر يعتمد اعتماداً كبيراً على ابراز عيوب الخصم وتجسيدها لتجريحه والانقاص من شأنه، ولعل هذا هو ما دعا المترجمين العرب القدماء لأرسطو أن يترجموا مصطلح الكوميديا بفن الهجاء) (١٢٦)....حقاً ان اللمز قد يكون فادحاً، ولكنه لا يشير إلا إلى ما يحمله الشئ من عيب وأما السخرية فهى لاذعة لأنها تكشف عن الأحساس العميق

بعدم الاقتناع من ناحية، وهى تتعرض لنقد الموضوع بطريقة ساخرة من ناحية اخرى[١٢٧] بينما الحكاية الهزلية فهى (التى تسرّى عن سامعيها وتثير فيهم روح المرح ذلك لأن الدعابة من سماتها الأساسية..هذا ويقاس مدى نجاحها أو فشلها بقدر ما تحققه من اشاعة المرح)[١٢٨].

أما القفشة (فترجع إلى اكتشاف الإنسان لعيب فى شخصية يمكن أن تكون موضوعاً للتندر..فإذا به فى الحال يشعر بقوة وثقة فى نفسه يدفعانه إلى ابراز هذا العيب عن طريق القفشة.

وربما كانت كلمة قفشة تكشف هذا المعنى..فهى تقفش شيئاً فى إنسان يصلح لأن يكون موضوع سخرية[١٢٩].

والمفارقات هى (الجمع بين الشئ ونقيضه أو ما يبعد عنه ويخالفه)[١٣٠] أما النادرة فهى لغة..الغريب الخارج عن المعتاد، ونوادر الكلام ما شذ وخرج من الجمهور..وهى اصطلاحاً ضرب من الحكايات الممعنة فى القصر (هى اقصوصة لا تطول إلى درجة الحكاية الهزلية ولا تقصر لدرجة النكتة) [١٣١] حيث تدور غالباً حول الحياة اليومية، وشخصياتها تتسم ببطء الاستجابة الشرطية لوقع الحياة اليومية حيث يجتمع فيها الكلم الذكى المعتمد على سرعة الخاطر والحدث الجارح والعباره اللاذعة) [١٣٢].

أما النكته فهى خبر صغير قصير فى شكل حكاية أو هى عبارة أو لفظ يثير الضحك[١٣٣].

بعد هذا العرض يتضح لنا أن الحكاية المرحة معناها وخصائصها ينطبق على الحكاية الهزلية وفى نفس الوقت تأخذ من كل هذه الفكاهات بشئ..فهى يقصد من ورائها التخفيف عن متاعب الإنسان النفسية ثم أنها تنقد وتتهكم وتسخر بالإضافة إلى أنها تجمع بين الشئ ونقيضه..وفى النهاية هى خبر قصير فى شكل حكاية..تعتمد على النقد الاجتماعى لكنها تتوسل بمنهج سلبى فى معظم الأحيان لكنها ليست هى حكايات "الفابيلو" لأن

الفابيلو (نادرة أو أحــدوثة منظومة ساخرة تتنــاول فــى ســخريتها ســلوك الأزواج ورجال الدين من مادة تدعو إلى التشهير (١٣٤).

* مجال حكايات المرح:

تدور حكايات المرح حول المفارقــات والأخطــاء والحماقــات والأكــاذيب والمبالغات والحيل وأسباب الخداع والعبث والمـــزاح والتصرفــات الذكيــة والأقوال الدالة على سرعة الخاطر والأجوبة المسكتة أو اللاذعة.

ولذا، فهى فى سبيل ذلك تستخدم أسلوباً فيه كثير من المغالطات المنطقيــة أو الحيــل البيانية ثم شخصياتها شخصيات دارجــة تواجــه مشكــلات عاديــة ملموسة وتتعرض للنزوات المألوفة.

- هذا وتتألف الحكايات من عناصر أولية قليلــــة يطــرأ عليــها التحريــف والتحوير بتناقل الرواة لها واحداً بعد الآخر الأمر الذى يجعلنــا نتعــثر فــى استنباط نتيجة حاسمة منها.

* حكايات المرح عند العرب:

- تمتلئ كتب الأدب العربى بكثير من نوادر القدماء ونوادر الظرفاء والتـــى فيها دونت حكايات مرحة ممتعة لا تحصى عن البخلاء والحمقى والأذكيـــاء والمغفلين والطفيليين..هذا بجانب أنه ترددت داخلها فكاهـــات جارحـــة عـــن محترفى الدين ومؤدبى الصبيان والمنحرفين فى السلوك، وكذا تركزت بعض الصفات حول شخصيات مشهورة فى التاريخ أو الأدب أو الحياة العامة..ومن هذه الكتب على سبيل المثال **أدب القدماء ولطائف الظرفاء لكشاجم، ومنـــها أخــبار الحمقى والمغفلين لابــن الجــوزى ولـــه كذلــك أخبــار الظــراف والمتماحنين بالإضافة إلى كتـــاب الأغـــانى "لأبـــى الفــرج الأصفــهانى"، والمحاضرات "لأبى القاسم الراغب الأصفهانى"، و "البيان والتبين للجاحظ"، و "عيون الأخبار لابــن قتيبة"، و "العقد الفريد لابــن عبدربـــه"، و "فــوات الوفيات لابن شاكر"، و "ذيل زهر الآداب للحصرى" وله أيضاً "جمع الجواهر**

في الملح والنوادر والمستطرف للابشيهي وثمـــرات الأوراق لابـــن حجـــة الحموي"..... وقد تركزت النوادر حول شخصيـــات يعينـــها مثـــل "أشعـــب الطماع"، و "أبي دلامه"، و "أبي صدقة"، و "الأقيشـــر"، و "ابـــن ســـبابة"، و "مطيع بن إياس"، و "أبي الشبل" و "حمزة بـــن بيـــض الحنفـــي"، و "أبـــي العيناء"، ثم تركزت تلك النوادر في العصور المتأخرة حول شخصيـــة جحـــا الذي ما تزال نوادره تحكى بيننا حتى اليوم..وقد ورد ذكر جحا فـــي كتـــاب أخبار الحمقى والمغفلين "لابن الجوزي" المتوفى عام ٥٩٧هـــــ..كمـــا ورد ذكره في كتاب الأمثال للميداني، قال عنه ابن الجوزي (ومنـــــهم – أي مـــن المغفلين الحمقى – جحا ويكنى أبا الغصن وقد روى عنه ما يدل على فطنـــة وذكاء إلا أن الغالب عليه التغفيل وقد قيل أن بعض من كان يعاديه وضع لـــه حكايات والله أعلم) [١٣٥]، ومن هنا فإن هـــذه الأعمـــال حملـــت التراكمـــات الفولكلورية للشعب العربي على مـــر العصـــور، واســـتطاعت أن تعكـــس صـــراعاته الطبقية والاجتماعية من ناحية وصراعاته السياسية من أجل البقاء في عالم متطاحن من ناحية أخرى.

وهي إلى جوار هذا كله أعمال تجمع الحس الشعبي المرهف بقضاياه المتجددة وأهدافه التي يلتمس الطريـــق نحـــو تحقيقـــها اســـتكمالاً لوضعـــه الحضاري..وقياماً بدوره الإنساني في صنع حضارة العالم[١٣٦].

جـــ- حكايات الأمثال:

في الواقع إذا تأملنا الحكاية في صورتها التعبيرية نجدها لوناً من ألوان التمثيل الكلامي الذي يعتمد على فرد واحد هو الذي يبتدع الحكاية ويتصور وقائعـــها ويرويها للناس ومن ثم فأبناء الريف يفهمون هذا المعنى التمثيلي في الحكايـــة ومدلولها فيسمونها بالمثل.

إذاً فالأمثـــال هي عناوين لقصص جرت وكان لـــها أحـــداث وقعـــت..(ثـــم اشتهرت بين الناس وسارت عندهم سير الأمثال..فإذا ما واجه الإنســـان فـــي

حياته حكاية مشابهة لواحدة منها اكتفى بإيراد المثل الوارد اعتماداً إلى أن القصة الأولى معلومة مشهورة(١٣٧).

– لكن رغم ذلك ورغم أن القصة هى الأصل الحقيقى للمثل إلا أنها قد تكون موضوعه حيث تروى على لسان الحيوانات أو قد يختلف الناس فى روايتها ومن ثم قد يحكى للمثل أكثر من قصة.

* مجال حكايات الأمثال:

بداية..يمكن القول أن حكايات الأمثال هى بمثابة أسلوب من أساليب الموعظة والعبرة..ومن ثم فهى صاحبة مجال واسع يتسع لشتى مناحى الحياة.

أنها تجارب الشعوب وتراث تاريخهم الطويل..أنها مرآة تنعكس عليها أخلاق وتقاليد تلك الشعوب – القويم منها وغير القويم – وعليه..فهناك حكايات تحض على العمل وعدم الركون إلى الكسل..وهناك حكايات تمس الظواهر الأرضية والظواهر السماوية، وكذا عن الحيوانات الأليفة والوحشية. إلا أن ذلك لا يغنى عن وجود حكايات تنسب بعض العادات إلى الأشخاص..حيث نجد من هو مشهور بالشجاعة ومن هو مشهور بالبخل ومن هو مشهور بالكرم..الخ..الأمر الذى يوضح لنا أن هذه الحكايات تعتمد فى فنية بنائها على الأشخاص..كعمود فقرى..هذا بجانب زمن وقوع الحكاية وأسلوب سردها وغير ذلك من الأساليب الفنية الأخرى والتى تجمعت كلها فى بوتقة واحدة وضمنت لحكاية المثل الذيوع والبقاء والأثر النافذ..ومن ثم عاشت الحكايات ما عاشت التجارب..عبر الزمن..حاملة بين طياتها حياة الناس وتجاربهم.

* حكايات الأمثال عند العرب:

مر على العرب حوادث مهمة سجلت تاريخياً واجتماعياً..ومن ثم كان لهذه الأحداث قصص كثيرة عن كيفية الحدوث..ومن أبرز الرجال

فيها.؟...ثم قيـــل فيـها الشعـر الجيـد والأقـوال المشــهورة والأمثــال المستحدثة....الخ.

وحين يكون للأمثال حكايات تبنى عليها..لذا فهذه الحكايات قد زخرت بها كتب التراث سواء قبل الإسلام وبعده.

فقبل الإسلام نجد العرب يأخذون الأشخاص وينسبون اليهم عـــادات وقيم هم يؤمنون بها وفعـلى سبيل المثال نسبوا الكرم إلـــى حـاتم الطــائى ونسبوا الشجاعة إلى عنترة العبسى، وكذا أيضاً نســبوا الخيانــة إلــى أبــى رغال..وبالطبع كل هذا داخل حكايات.

ثم ان الأمر لا يقف عند هذا الحد..بل زاد فى أنهم وضعــوا بعــض حكايات أمثالهم بأنها سمعت من نطق الحيوانات والطيور..ولذا قيلــت هــذه الحكايات على أنها أمر واقعى ونحن على علم تام بأن هذه الحكايات لم تنطق بها الحيوانات أو الطيور..لكنه أسلوب رمزى اتخذه العــرب كغـيرهم مــن الشعوب.

ثم أنهم استعاروا صفات الحيوانات وصاغوها بأسلوب شيق فصارت تجرى على الألسنة على أنها صفات الإنسان..فنسبوا إليها الجرأة والشجاعــة والكرم والصبر والصدق والجبن والحمق والحقد وغير ذلك.

أما بعد الإسلام فقد حدث تحول كبير فى حياة العرب..وكــان هــذا التحول فى شتى مجالات الحياة..ومــن ثـم شمـل هـذا مجـال حكايــات الأمثال..ولعل السبب فى هذا يرجع إلى مـــا أحدثــه القــرآن الكريــم مــن اعجاز..ففيه نجد حكايات الأمثال يضربها الله سبحانه وتعالى ليأخذها النـــاس كــدستور يسيروون عليه حتى يدركوا ما غاب عنهم[١٣٨].. ثم تطـــرق (الله تعالى) إلى (الانبياء) وذكر الشئ الكثير عن حكاياتهم..فمثلاً (حوت يونــس، طوفان نوح، سفينة نوح، عمر نوح، صبر أيوب، حسن يوسف).

وبالطبع..بجانب هذه الحكايات المثلية القرآنية..نجد حكايــات أمثــال العرب..التى تدل على عقليتهم وحياتهم الاجتماعية.

إلا أن هذه الحكايات رويت ودونت فى مطلع العصر الأمــوى مــع بداية تدوين العلوم الدينية مع الشعر والنثر، بيد أنها لم تصلنا بعد.

أما الذى وصلنا منها..فهو كتاب[139] "**المفضل بن محمد بـن يعلـى الظبى**" ت سنة ١٧٠هـ....والذى يعد أول كتاب عن تلك الحكايات حيث اتبع فى تأليفه أسلوب الحكاية..وحوى فيه (٨٨) حكاية وحوت الحكايـات (٢٢٨) مثلاً....وكل حكاية قد تكون طويلة وقد تكون قصيرة وكـل حكايـة طويلـة تحتوى أمثالاً كثيرة وقد تحتوى الحكاية مثلاً واحداً أو أكثر.

أما الكتاب الثانى الذى وصلنا فى حكايات الأمثال فـهو كتـاب[140] الميدانى حيث ورد فيه اعداد كثيرة من الأمثال وعليـها حكايـات اسـتطاع الميدانى تخريجها تخريجاً حسناً.....وتبعها بعد ذلك كتب كثيرة لكـن ليـس بنفس الصورة السابقة.

وبعــد:

فإن العرب لا يخفى عليهم هذا اللون من الحكايات..بل برعـوا فيـه وقدموه فى صورة أمثال.

(والأمثال فكرة أختلجت فى النفوس، معان تصورت فى الأذهان، وجـاشت بهـا الصدور واتصلت بالخواطر ثم أكدتها التجارب فجـرت علـى ألسـنة البلغاء والفصحاء وسارت مع الزمان معبرة عن قصة وقعت أو تجربة حدثت أو اسطورة تروى وخرافة تحكى) [141].

****

- وهكذا كانت الحكايات من حيث الموضوع.

أما من حيث الهدف....فكل ما سبق يمكن أن يسرد على أنه رمز أو مضمون أو هدف يتخذ من أجل سرد الحكاية ومن ثم فقـد تكـون حكايـة الحيـوان الخرافية حكاية تهذيبية وقد تكون للتسلية وقد تكون حكاية معرفة....وكـذا يكون الأمر فى بـاقي الحكايـات سـواء جـان أو اجتماعيـة أو مـرح أو أمثال....الخ خصوصاً إذا عرفنا أن قصص التسلية والترفية هى تلـك التـى يستخدمها الإنسان ليرفه بها عن نفسه ويتمتع بسماعها ويسعد بأحداثها لأنـها تساعده على قضاء وقته فى شئ نافع ومفيد.

أما الحكايات المعرفية..فهى التى تقوم بدور أساسى فى نقل المعارف بطريق مباشر وآخر غير مباشر فالأشخاص والكائنات والأحداث تعد مصدراً مهماً من مصادر المعارف العامة، كما أنها تحتوى على أنماط متنوعة من تجارب الحياة وخبرات الآخرين(١٤٢).

بينما الحكايات التهذيبية فهى التى تنفس عن الناس شعورهم ضد الحكام والطغاة والمستبدين لذلك فهى تبث فضائل التواضع والحنان والشفقة والمساعدة والصبر والتعاطف والشجاعة وتؤكد على المعانى الجميلة فى قيم الحياة..فالزوجة المحبوبة والزوج المخلص والبيوت المريحة والثياب الجميلة، والتحرر من الخوف واظهار قوة الحب التى تستطيع أن تفك الطلسم والرحمة والأمان(١٤٣).

هذا بالإضافة(١٤٤) إلى أن هناك مسميات أخرى لهذه الحكايات مثل الحكايات التعليلية التى يحاول الإنسان من خلالها أن يجد تفسيراً أو تعليلاً لظاهرة ما:

والحكايات التعليمية التى تحمل مغزى أخلاقياً أو درساً اجتماعياً أو مضموناً سياسياً أو هدفاً تربوياً.

كل هذه أهداف ورموز وأفكار تعبر عنها وتؤكدها الحكايات الشعبية مما يكون معاييراً للسلوك يجب الاقتداء بها..

ثم ماذا بعد..فإن القصص الشعبى العربى يحمل من ملامح التراث الشعبى أكثر مما تحمل عناصر التراث الاخرى(١٤٥) وذلك لأنه غنى بالمقولات الفكرية والاخلاقية والاجتماعية والجمالية سواء كان ذلك من واقع الحياة أو من خلال تصوراته لما فوق الحياة وعوالم ما وراء الطبيعة

هوامش الباب الثانى

١- فوزى العنتيل - حكايات الحيوان وتطورها - مجلة الفنون الشعبية العدد ١١ سنة ١٩٦٩م.

٢- فوزى العنتيل - عالم الحكايات الشعبية ص ٥٣، ص ٥٤.

٣- فوزى العنتيل حكايات الحيوان وتطورها - مقال سابق.

٤- د. عبد الحميد يونس - معجم الفولكلور - "مادة خرافة".

٥- راجع - (غسان الحسن - الحكاية الخرافية فى ضفتى الأردن - دار الجيل للطباعة - دمشق سنة ١٩٨٨م، ص ١٠٧).

٦- راجع: (فوزى العنتيل - عالم الحكايات الشعبية - ص ٦٩: ص٧٤).

٧- راجع فى هذا الموضوع:

أ- فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة د. نبيلة ابراهيم - بيروت ١٩٧٦ - ط٢.

ب- د. نبيلة ابراهيم سالم - أشكال التعبير فى الأدب الشعبى ص ٨٩: ص ص١٣٠.

جـ- فوزى العنتيل

* عالم الحكايات الشعبية.

* حكايات الحيوان وتطورها - مجلة الفنون الشعبية مقال سابق.

د- د. محمود فهمى حجازى - اتجاهات الباحثين فى الحكاية الخرافية - الفنون الشعبية عدد ٦ سنة ١٩٦٨م.

هـ- Stith thompson, The Folk tale, Holt Rinehart and Wniston, inc., 1946, pp. 272-281.

وله ترجمة بعنوان الحكاية الشعبية فى الأدب القديم لأحمد آدم - بمجلة الفنون الشعبية، العدد (١٩) سنه ١٩٨٧م.

كما نقل عمر عثمان الفصل الخاص عن حكايات مصر القديمة من هذا الكتاب فى مجلة الفنون الشعبية فى العدد (٨) سنة ١٩٦٩م، تحت عنوان: التأثيرات المصرية فى تراث الحكايات الشعبية العالمية.

و- د. عبد الحميد يونس فى ترجمة الأشعار الخمسة (البنجاتنترا) الهيئة المصرية للكتاب، ص ٢٥٥، و ص ٢٧٠.

٨- راجع فى هذا الموضوع:

* د. محمد رجب البخار - حكايات الحيوان فى التراث العربى - مجلة عالم الفكر العدد ٢٤ سنه ١٩٩٥ - الكويت.
* فوزى العنتيل - عالم الحكايات الشعبية ص ٦٦: ص ٦٨.
* فوزى العنتيل - حكايات الحيوان وتطورها - مقال سابق.

٩- السدوسى - كتاب الأمثال تحقيق د. رمضان عبد التواب ص ٤٦، ص ٤٧ القاهرة سنة ١٩٧١م.

١٠- راجع:

* المسعودى: فى مروج الذهب جـ١، جـ٢.
* ابن عبد ربه: فى العقد الفريد.
* البيهقى: فى المحاسن و المساوئ.
* ابن الجوزى: فى كتاب الأذكياء.
* أبو نعيم: فى حلة الأولياء
* الابشيهى فى المستطرف فى كل فن مستظرف.

١١- راجع:

* د. غنيمى هلال - الأدب المقارن - ص ١٨٤، ص ١٨٦.
* د. عبد الرزاق حميده - قصص الحيوان فى الأدب العربى ص ٥٧، ص ٨٩ - ص ١٣٥: ص ١٣٧.

١٢- راجع:

* د. عبد العزيز عبد المجيد - مجلة الثقافة - العدد (٧١١) الصادر فى ١١ أغسطس سنة ١٩٥٢م، ص٢١.

* د. عبد الرزاق حميده - قصص الحيوان فى الأدب العربى ص ١٥٣، ص ١٨٧.

١٣- سورة البقرة - الأعراف - الحجر - الكهف - طه - الرحمن - الجن.

١٤- أ- ابن قتيبه - المعارف.

ب- ابن كثير - تفسير القرآن الكريم.

جـ- ابن كثير - البداية والنهاية.

١٥- راجع:

أ- راجى الأسمر - المعتقدات والخرافات الشعبية اللبنانية - مؤسسة جروس برس - لبنان - ص ٨٩.

ب- فاروق خورشيد - عالم الأدب الشعبيى العجيب - كتاب الهلال ص ٥٣ - ص ٦٦.

١٦- راجع:

د. عائشة عبد الرحمن - (بنت الشاطئ) مقدمة فى المنهج - مطبعة الجبلاوى - القاهرة - ص ١٣: ص ٢٦.

١٧- راجع: د. نبيلة ابراهيم:

أ- البطولة فى القصص الشعبى - دار المعارف سـنة ١٩٧٧م - ص ٣٣: ٣٤.

ب- أشكال التعبير فى الأدب الشعبى - نصدر سابق، ص ٩٧.

١٨- الكسندر هجرتى كراب - علم الفولكلور - نصدر سابق - ص ١٨.

١٩- فوزى العنتيل - عالم الحكايات الشعبية - ص ٢٦.

٢٠- المصدر السابق - ص ٢٧.

٢١- راجع فى هذا الموضوع:

أ- الكسندر هجرتى كراب - علم الفولكلور - ص ٧٨ :ص٨٤.

ب- فوزى العنتيل - عالم الحكايات الشعبية - ص١٩ :ص٢٨.

جـ- جان دى فريز - حكايات الجان - ترجمة فوزى سمعان - الفنون الشعبية العدد (١٦) سنة ١٩٧١م.

د- ستيث طومبسون - الحكاية الشعبية - ترجمة احمد آدم - الفنون الشعبية العدد (٢١) سنة ١٩٨٧م.

٢٢- داوود الأنطاكى - تزيين الأسواق - ص١٨٠.

٢٣- شهاب الدين بن أبى حجلة - ديوان الصبابة - ص٥٢.

٢٤- الثعالبى - فقة اللغة - ص٧٧.

٢٥- أبو حنيفة الدينورى - الأخبار الطوال ص ١٩، ص٢٠.

٢٦- الف ليله وليله حـ٣ ليله ٤٩٨، حـ٤ ليله ٧٤٥.

٢٧- ابن النديم - الفهرست.

٢٨- أبو القاسم الأصبهانى - محاضرات الأدباء - الجزء الرابع - ص ٦٣١.

٢٩- فاروق خورشيد - عالم الأدب الشعبى العجيب - ص٤٩، ص ٥٠.

٣٠- راجع:

أ- لسان العرب - مادة تخرق.

ب- المعجم الوسيط - دار احياء التراث - مادة خرق.

٣١- راجع: فوزى العنتيل - عالم الحكايات الشعبية - ص ١١، ص١٢.

٣٢- ابن منظور - لسان العرب - مادة غول.

٣٣-الدميرى - حياة الحيوان جـ٢ - ص٣٤٤.

٣٤- ابن منظور - لسان العرب - مادة غول.

٣٥- الدميرى - حياة الحيوان جـ٢ - ص ٣٤٤.

٣٦- الابشيهى - المستطرف فى كل فن مستظرف جـ٢ - ص٧٩.
٣٧- محمد أحمد جاد المولى وآخرون - قصص العرب - جـ٤ - ص٣٦٤.
٣٨- الشهب: الفلاة.
٣٩- الصحصحان: ما استوى واتسع من الأرض.
٤٠- الأين: الإعياء والتعب.
٤١- الجران: للبعير مقدم عنقه عند مذبحه إلى منحره.
٤٢- مخدج: ناقص الخلق.
٤٣- الشواه: جلدة الرأس.
٤٤- ثنان: جمع القرية الخلق.
٤٥- ابو الفرج الاصفهانى - الأغانى - جـ١٧ - ص٤٨٠.
٤٦- الفيروز آبادى - القاموس المحيط - مادة مرد.
٤٧- الجاحظ - الحيوان - جـ١ - ص ٢٩١.
٤٨- الكسندر هجرتى كراب - علم الفولكلور - ص٣١٢: ص٣١٦.
٤٩- فوزى العنتيل - عالم الحكايات الشعبية - ص١٢.
٥٠-راجع فى هذا الموضوع:
أ- كراتشكوفسكى - تاريخ الأدب الجغرافى العربى - ترجمة د. صلاح الدين عثمان هاشم - القسم الأول - القاهرة - سنة ١٩٦١م.
ب- مصطفى الشهابى - الجغرافيون العرب - القاهرة ١٩٦٢م.
جـ- ياقوت الحموى - معجم البلدان.
د- المسعودى - مروج الذهب جـ١ ص ٢٥٨، ص ٢٥٩.
هـ- ابن بسام - الذخيرة.
و- الدميرى - حياة الحيوان.
ز- الجاحظ - الحيوان.

ح- أبو الفرج الاصفهانى - الأغانى.

ط- الابشيهى - المستطرف فى كل فن مستظرف.

٥١- د. نبيلة إبراهيم - البطولة فى القصص الشعبى - دار المعارف - ص ٥- - ٥١.

٥٢- د. عبد الحميد يونس - معجم الفولكلور - مادة حدوته.

٥٣- راجع:

أ- د. عبد الحميد يونس - الحكاية الشعبية - المكتبة الثقافية.

ب- نزار الأسود - الحكايات الشعبية الشامية - دار الإيمان ط١- دمشق سنة ١٩٨٨م.

جـ- د. عمر عبد الرحمن الساريسى - الحكاية الشعبية فى المجتمع الفلسطنى - سلسلة احياء التراث الفلسطينى - دار الكرمل - الأردن سنة ١٩٨٥م.

٥٤- عبد الكريم الجهيمان - أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب - دار أشبال العرب ط٣- الرياض سنة ١٩٨٠م، ص ١٢، ص ١٣،

٥٥-راجع:

د. محمد طالب الدويك - القصص الشعبى فى قطر ح١- مركز التراث الشعبى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية - ١٩٨٤م.

٥٦-راجع:

أ- ابن منظور - لسان العرب - مادة حزا، مادة سلف.

ب- صفوت كمال - الحكايات الشعبية - الكويت ط١ سنة ١٩٨٦م، ص١٥٩ وما بعدها.

٥٧- يسرى شاكر - حكايات الفولكلور المغربى - تقديم د. عباس الجرارى - دار النشر المغربية د.ت.

٥٨- كاظم سعد الدين - الحكاية الشعبية العراقية - دراسة ونصوص - دار الرشيد للنشر - السلسلة الفولكلورية ١٩٧٩م.

٥٩- د. عبد الحميد الطيب - الأحاجي السودانية سلسلة الأساطير - مكتب النشر بالخرطوم ط١ سنة ١٩٥٥م.

٦٠- راجع في هذا الموضوع

أ- د. السيد الجملى - السحر وتحضير الأرواح - دار اسامة للنشر والتوزيع - دمشق - د.ت.

ب- أحكام الحكيم فى علم التنجيم - مكتبة القاهرة - د.ت.

جـ- د. على محمد المكاوى - تنبوءات المنجمين بنهاية العالم - تحليل فولكلورى - الفنون الشعبية - العدد ٢٧-٢٨ سنة ١٩٨٩م.

د- د. أحمد شمس الدين الحجاجي - النبوءة أو قدر البطل فى السير الشعبية العربية العدد (٣٧) سنة ١٩٩٢م.

هـ- فاروق خورشيد - الأحلام فى الموروث الشعبى - الفنون الشعبية العدد (٢٧،٢٨).

و- د. محمد الجوهرى - المشتغلون بالسحر فى مجتمع اليوم - دراسة فى ملامح التغير - الفنون الشعبية - العدد (١٩) سنة ١٩٨٧م.

٦١- سورة الجن - آيه (٢٦،٢٧).

٦٢- سورة الاسراء - أيه (٨٥).

٦٣- سورة الاسراء أيه (٣٦).

٦٤- سورة فاطر أية (٢١).

٦٥- راجع فى هذا:

أ- القرآن الكريم.

ب- الثعلبى - كتاب العرائس.

جـ- وهب بن منبه - التيجان فى ملوك حمير.

د- ابن هشام - السيرة النبوية.

هـ- سيرة عنتره بن شداد.

و- سيرة سيف بن زى يزن

ز- سيرة الظاهر بيبرس.

ح- السيرة الهلالية.

ط- ألف ليله وليله.

٦٦- المسعودى - مروج الذهب جـ٣ ص ٣٨٩ وما بعدها.

٦٧- راجع:

د. مرسى السيد مرسى الصباغ - القصة والحكاية والحدوتة الشعبية فى محافظة الشرقية - (ص٦٨٥: ص ٦٩١).

٦٨- المصدر السابق.

٦٩- د. صابر عبد الدايم - الأدب الصوفى - اتجاهاته وخصائصه - دار المعارف ط٢ سنة ١٩٨٤م، (ص١١٨).

٧٠- راجع:

د. مرسى السيد مرسى الصباغ - القصة والحكاية والحدوته الشعبية - مصدر سابق.

٧١- سورة الاحزاب آية (٢١).

٧٢- يمكن الرجوع للاستزادة:

أ- د. صابر عبد الدايم - الأدب الصوفى - اتجاهاته وخصائصه - مرجع سابق.

ب- حسين كامل الملطاوى - الصوفية فى الهامهم - مجلة منبر الإسلام - العدد الثالث - السنة (٢٨) (مايو ١٩٧٠).

٧٣- سورة الشمس الآية (٧ ، ٨).

٧٤- سورة يونس الآية (١٠٨).

٧٥- سورة المدثر الآية (٣٨).

٧٦- سورة فاطر الآية (١٨).

٧٧- راجع فى هذا:

أ- القرآن الكريم

ب- الطبرى - تاريخ الطبرى.

جـ- ابن قتيبة - عيون الأخبار.

د- الجاحظ - كتاب الحيوان.

هـ- د. شوقى ضيف - تاريخ الأدب العربى - العصر الاسلامى.

و- د. محمود ذهنى - تذوق الأدب - طرقه ووسائله.

ز- رمزى نعناعة - كتاب الاسرائيليات.

ح- محسن يوسف - الظواهر القصصية عند العرب.

٧٨- * راجع فى القرآن الكريم:

(قصص إبراهيم ، يونس، يوسف، موسى، نوح، وغيرهم).

٧٩- د. مرسى السيد مرسى الصباغ - من الفولكلوريين العرب - وهب بن منيه - دراسة مخطوطة

٨٠- رشدى صالح - الفنون الشعبية - المكتبةَ الثقافية (ص ٥٨).

٨١- د. عبد الحميد يونس - الحكاية الشعبية - المكتبة الثقافية (ص ٨٤).

٨٢- المصدر السابق (ص ٨٥).

٨٣- راجع فى هذا الموضوع:

أ- د. عبد الحميد يونس - الحكاية الشعبية - (ص ٨٥: ص ٩٢).

ب- د. نبيلة إبراهيم - البطولة فى القصص الشعبى -نصدر سابق (ص٥١: ص ٦٣).

٨٤- يمكن الرجوع للاستزادة:
د. مرسى السيد مرسى الصباغ - القصة والحكاية والحدوته الشعبية في محافظ الشرقية - مصدر سابق (ص٦٩١: ص ٧٠٠).
٨٥- سورة الفرقان الآية (٢٠).
٨٦- صفوت كمال - العمل كقيمة انسانية فى الأمثال الشعبية المصرية - الفنون الشعبية - العدد (٢١) - سنة ١٩٧٨م.
٨٧- صحيح البخارى.
٨٨- د. مرسى السيد مرسى الصباغ - الموال فى مركز الزقازيق - دراسة ميدانية وفنية - جامعة الزقازيق - اطروحة ماجستير - سنة ١٩٨٧م - (ص٤٩٣).
٨٩- راجع مصطفى صادق الرافعى - السحاب الأحمر - مطبعة الاستقامة - القاهرة ط٨ سنة ١٩٦٤م (ص ١٢٨: ص ١٤٢).
٩٠- راجع:
أ- د. محمود ذهنى - تذوق الأدب - طرقه ووسائله. (ص ١٨٨، ص ١٨٩).
ب- فاروق خورشيد - عالم الأدب الشعبى العجيب - مصدر سابق (ص٧: ص٢٦)، (ص١٦٣: ص ١٧٨).
جـ- محسن يوسف - الظواهر القصصية عند العرب - دار المنارة - اللاذقية - سوريا - سنة ١٩٨٩م.
د- د. عادل البياتى - القصة النثرية فى الأدب العربى - مجلة الطليعة العراقية - العدد الخامس - السنة الخامسة.
٩١-أبو الفرج الاصفهانى - الأغانى - المجلد الحادى عشر (ص١٥٢: ص ١٥٧).
٩٢-ابن منظور - لسان العرب - مادة بحر.

٩٣- سورة الرحمن، سورة الفرقان، سورة فاطر.
٩٤- إبراهيم فؤاد احمد وآخرون - قطر والبحر - وزارة الاعلام - قطر - سنة ١٩٨٧م (ص٢٤٢، ص ٢٤٣).
٩٥- المسعودى - اخبار الزمان - جـ١ (ص ٤١: ص ٤٨).
٩٦- راجع: أ- أحمد محمد عطيه - أدب البحر - دار المعارف سنة ١٩٨١م.
ب- إبراهيم فؤاد أحمد وآخرون - قطر والبحر - سابق (ص ٩٢).
٩٧- المسعودى - مروج الذهب، أخبار الزمان.
٩٨- الدميرى - حياة الحيوان.
٩٩- الابشيهى - المستطرف فى كل فن مستطرف.
١٠٠- الجاحظ - الحيوان.
١٠١- ابن عبد ربه - العقد الفريد.
١٠٢- ابن قتيبة - عيون الأخبار.
١٠٣- القزوينى - عجائب المخلوقات.
١٠٤- راجع: أحمد محمد عطيه - أدب البحر - دار المعارف - سنة ١٩٨١م.
١٠٥- د. مرسى السيد مرسى الصباغ - العلاقة بين القصص الشعبى الأدبى - مجلة الفنون الشعبية - العدد (٣٧ سبتمبر سنه ١٩٩٢م).
١٠٦- راجع فى هذا الموضوع:
١- د. محمود ذهنى - تذوق الأدب - طرقه ووسائله - مصدر سابق (ص١٨٤، ص ١٨٥).
٢- فاروق خورشيد:
أ- فى الرواية العربية - عصر التجميع - مصدر سابق.
ب- عالم الأدب الشعبى العجيب - مصدر سابق.

٣- وهب بن منبه - التيجان فى ملوك حمير.

٤- الابشهى - المستطرق فى كل فن مستطرف.

٥- المسعودى - مروج الذهب.

٦- ابن قتيبه - عيون الأخبار.

١٠٧- ابن منظور - لسان العرب - مادة مجن.

١٠٨- سورة المائدة آية (٩٠ : ٩١).

١٠٩- سورة النساء آية (٢٦).

١١٠- سورة الجاثية آية (٢٠).

١١١- سورة الحشر آية (٢١).

١١٢- سورة هود آية (١٠٠).

١١٣- سورة يوسف آية (٢٣ : ٣٢).

١١٤- راجع فى هذا الموضوع:

١- دكتور/ شوقى ضيف.

أ- تاريخ الأدب العربى - العصر العباسى الأول - دار المعارف - ط٨ - سنة ١٩٨٢م - القاهرة.

ب- تاريخ الأدب العربى - العصر العباسى الثانى - دار المعارف - ط٤ - سنة ١٩٨٢م - القاهرة.

جـ- تاريخ الأدب العربى - عصر الدول والامارات - دار المعارف - ط٢ - سنة ١٩٨٣م - القاهرة.

٢- د. سهام عبد الوهاب القريح - الجوارى والشعر فى العصر العباسى الأول - دار الربيعان للنشر والتوزيع ص ٧ سنة ١٩٨١م - الكويت.

٣- كمال النجمى - يوميات المغنين والجوارى - دار الهلال....القاهرة - سنة ١٩٨٦م.

٤- محسن يوسف - الظواهر القصصية عند العرب - مصدر سابق.

١١٥-راجع:

أ- الجاحظ - البيان والتبين.

ب- الجاحظ - الحيوان.

جـ- أبو الفرج الاصفهانى - الأغانى.

د- المسعودى - مروج الذهب.

هـ- أبو بكر الصولى - الأوراق.

و- ابن المعتز - طبقات الشعراء.

ح- ابن عبدربه - العقد الفريد.

ط- ابو حيان التوحيدى - الامتاع والمؤانسة.

ى- ابن قتيبة - عيون الأخبار.

ك- البيهقى - المحاسن والمساوئ.

ل- ابن حجة الحموى - ثمرات الأوراق.

م- الدميرى - حياة الحيوان.

ن- الابشيهى - المستطرف فى كل فن مستظرف.

١١٦- راجع: د. قاسم عبده قاسم بين الأدب والتاريخ..دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع - القاهرة - سنة ١٩٨٦م.(ص٦).

١١٧- د. شوقى ضيف - تاريخ الأدب العربى - عصر الدول والامارات - (ص٢٦٠، ص ٢٦١).

١١٨- د. محمود ذهنى - الأدب الشعبى العربى - مفهومه ومضمونه - (ص١٠٤).

١١٩- د. قاسم عبد قاسم - الأدب الشعبى وسيلة للتعرف على الحياة الفكرية للشعوب - مجلة الفنون الشعبية - العدد ٢٤ - سبتمبر سنة ١٩٨٨م.

١٢٠- د. مرسى السيد مرسى الصباغ: أدهم الشرقاوى - رمزالبطولة الشعبية فى تاريخ مصر - دراسة مخطوطة.

١٢١- راجع فى هذا الموضوع:

أ- وهب بن منبه - التيجان فى ملوك حمير..مصدر سابق..

ب- عبيد بن شريه الجرهمى - الملوك وأخبار الماضين - مصدر سابق.

جـ- السيوطى - الاتقان فى علوم القرآن.

د-د. محمود ذهنى - تذوق الأدب طرقه ووسائله - (ص١٨٣: ص ١٨٧).

هـ- فاروق خورشيد - فى الرواية العربية - عصر التجميع.

و- د. شوقى ضيف - تاريخ الأدب العربى ثلاثة أجزاء [العصر العباسى الأول، الثانى، وعصر الدول والامارات] - دار المعارف.

ز- د. قاسم عبده قاسم بين الأدب والتاريخ - مصدر سابق (ص٦٥: ص ١٠٢).

١٢٢- أحمد أمين - فجر الإسلام - الهيئة المصرية العامة للكتاب- سنه ١٩٩٧، ص ١٥٦.

١٢٣-د. عبد الحميد يونس:

أ- الحكاية الشعبية - المكتبة الثقافية (ص٧٤، ص ٧٥).

ب- معجم الفولكلور - مادة (النادرة).

١٢٤- د. نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير فى الأدب الشعبى - دار المعارف (ص٢٥١).

١٢٥-المصدر السابق (ص٢٥٢).

١٢٦- فاروق خورشيد - عالم الأدب الشعبى العجيب (ص١٨٠).

١٢٧- د. نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير فى الأدب الشعبى (ص٢٥١، ص٢٥٢).

١٢٨- الكسندر هجرتى كراب - علم الفولكلور - ترجمة رشدى صالح - دار الكاتب العربى (١٠٥).

١٢٩- د. نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير فى الأدب الشعبى (ص٢٥٢).

١٣٠- أحمد أمين - قاموس العادات والتقاليد المصرية - دار النهضة المصرية - القاهرة - سنة ١٩٥٣م.
١٣١- د. نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير فى الأدب الشعبى (ص٢٥٥، ص ٣٧٣).
١٣٢- د. عبد الحميد يونس - معجم الفولكلور - مادة - النادرة.
١٣٣- د. نبيلة إبراهيم - اشكال التعبير فى الأدب الشعبى (ص٢٤٥).
١٣٤- الكسندر هجرتى كراب - علم الفولكلور - مصدر سابق (ص٩٣).
١٣٥- ابن الجوزى - أخبار الحمقى والمغفلين ط. دمشق (ص٢٥).
١٣٦- فاروق خورشيد - عالم الأدب الشعبى العجيب (ص١٨٢).
١٣٧- د. نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير فى الأدب الشعبى (ص٢٠٤).
١٣٨- راجع سورة (البقرة، آل عمران، الأنعام، الأعراف، يونس، هود، الرعد، إبراهيم، النحل، الكهف، الحج، النور، العنكبوت، الروم، يس، الرمز، الفتح، الحشر، الجمعة، التحريم).
١٣٩- المفضل الظبى - أمثال العرب - تحقيق د. احسان عباس - بيروت ط٣ سنة ١٩٨١م.
١٤٠- الميدانى - مجمع الأمثال - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة - أربعة أجزاء - سنة ١٩٧٨م.
١٤١- خير الدين شمس باشا - من الأمثال الشعبية فى ادب الأطفال - مجلة التراث الشعبى العراقية العدد (١٤) سنة ١٩٨٥م، (ص ٨٩).
١٤٢- صفوت كمال - الحكايات الشعبية فى مجال أدب الأطفال - مجلة الفنون الشعبية العدد (٢٥) القاهرة سنه ١٩٨٨.
١٤٣- على الحديدى - فن أدب الأطفال - الانجلو المصرية سنه ١٩٧٦.

١٤٤- د. محمد رجب النجار - حكايات الحيوان فى التراث العربى - آفاق جديدة - مجلة عالم الفكر المجلد (٢٤) سنه ١٩٩٥ - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأداب - الكويت.

١٤٥- صفوت كمال - الحكاية الشعبية وأهمية دراستها - الفنون الشعبية العدد (٢) سنه ١٩٦٥.

المراجـــع والمصـــادر

أولاً : المصادر الأساسية(*):

١- الأمتاع والمؤانسة - أبو حيان التوحيدى - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - سنة ١٩٥٣م.

٢- المستطرف فى كل فن مستظرف - الأبشيهى - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة - سنة ١٣٧٩هـ (١٩٥٨م).

٣- ثمرات الأوراق فى المحاضرات - ابن حجة الحموى - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة - سنة ١٣٧٩هـ (١٩٥٨م).

٤- كتاب الأصنام - هشام بن محمد بن السائب الكلبى - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة، سنة ١٩٦٥م.

٥- الحيوان - عثمان بن بحر الجاحظ - دار احياء التراث العربى - بيروت - الطبعة الثالثة، سنة ١٩٦٩م.

٦- البيان والتبين - الجاحظ.

٧- حياة الحيوان - الدميرى - شركة ومطبعة مصطفى الحلبى - القاهرة - الطبعة الرابعة، سنة ١٩٦٩م.

٨- المحاسن والمساوئ- البيهقى - دار صادر بيروت - نسخة مصورة - سنة ١٩٧٠م.

٩- اخبار الزمان - المسعودى - دار الأندلس - بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٨م.

١٠- مروج الذهب - المسعودى - دار الأندلس - بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٨م.

١١- عجائب المخلوقات - القزوينى - دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٨م.

١٢- أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها - عبيد بن شرية الجرهمى -مركز الدراسات والأبحاث اليمنية - صنعاء، اليمن، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٩م.
١٣- التيجان -.وهب بن منبه - مركز الدراسات والأبحاث اليمنية - صنعاء، اليمن، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٩م.
١٤- مقدمة ابن خلدون - عبد الرحمن بن خلدون - دار ومكتبة الهلال - بيروت، سنة ١٩٨٣م.
١٥- العقد الفريد - ابن عبد ربه - دار الكتاب العربى - بيروت، سنة ١٩٨٣م.
١٦- عيون الأخبار - ابن قتيبة - دار الكتاب العربى - بيروت، بدون تاريخ.

ثانياً المصادر المساعدة(**)

أ- القرآن الكريم

ب- المعاجم والقواميس والموسوعات الأدبية والدواوين الشعرية.

١- ابن بسام - الذخيرة.
٢- ابن جرير الطبرى - تاريخ الطبرى.
٣- ابن الجوزى - أخبار الحمقى والمغفلين - ط - دمشق.
٤- ابن الجوزى - كتاب الأذكياء.
٥-ابن المعتز - طبقات الشعراء.
٦- ابن النديم - الفهرست.
٧- ابن سعيد الأندلسى - نشوة الطرب فى تاريخ العرب - تحقيق: د. أحمد كمال زكى.
٨- ابن كثير: تفسير القرآن.
٩- ابن كثير: البداية والنهاية.

١٠- ابن منظور - لسان العرب - دار صادر - بيروت.
١١- أبو بكر الصولى : الأوراق.
١٢- أبو تمام - الديوان.
١٣- أبو حنيفة الدينورى - الأخبار الطوال.
١٤- أبو الفرج الأصبهانى -الأغانى.
١٥- أبو القاسم الأصبهانى - محاضرات الأدباء.
١٦- أبو نعيم - فى حلة الأولياء.
١٧- أحمد امين - قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية - دار النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٣.
١٨- الثعالبى - فقة اللغة..
١٩- الثعالبى - كتاب العرائس.
٢٠- السدوسى: كتاب الأمثال - تحقيق د. رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٧١.
٢١ محمد بن أبى بكر الرازى، مختار الصحاح.
٢٢- السيوطى الاتقان فى علوم القرآن.
٢٣- السيوطى المزهر فى علوم اللغه.
٢٤- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى - القاموس المحيط - دار الجيل - بيروت.
٢٥- المفضل الطبى - أمثال العرب - تحقيق: إحسان عباس - بيروت - ط٣ - ١٩٨١.
٢٦- الميدانى - مجمع الأمثال - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة، سنة ١٩٧٨.
٢٧- داود الأنطاكى - تزيين الأسواق.
٢٨- شهاب الدين بن أبى حجلة - ديوان الصبابة.

٢٩- د. عبد الحميد يونس - معجم الفولكلور - مكتبة لبنان - سنة ١٩٨٣م.

٣٠- مجمع اللغة العربية - المعجم البسيط - دار احياء التراث العربى بالقاهرة.

٣١- مجمع اللغة العربية - المعجم الوجيز.

٣٢- ياقوت الحموى ، معجم البلدان.

جـ- نصوص تراثية.

١- ألف ليلة وليلة.

٢- السيرة الهلالية.

٣- السيرة النبوية - لإبن هشام.

٤- سيرة الأميرة ذات الهمة - إعداد: د. نبيلة إبراهيم.

٥- سيرة سيف بن ذى يزن.

٦- سيرة على الزيبق - فاروق خورشيد - دار الشروق - لبنان - ١٩٨١م.

٧- سيرة الظاهر بيبرس - دار الكتب الشعبية - بيروت - بدون تاريخ.

٨- سيرة عنترة - المكتبة الثقافية - بيروت ١٩٧٩ (السيرة الحجازية).

د- بحوث ودراسات (***):

١- ابراهيم فؤاد أحمد وآخرون - قطر والبحر - وزارة الإعلام - قطر.

٢- أحمد أمين - * ضحى الإسلام- الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٧.

* فجر الإسلام - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٧.

٣- د. أحمد إبراهيم الهوارى - نقد الرواية فى الأدب العربى للحديث - دار المعارف - القاهرة - سنة ١٩٧٨م.

٤- د. أحمد على مرسى - مقدمة فى الفولكلور - دار الثقافة، ١٩٨٣م.

٥- د. أحمد كمال زكى - الأساطير - المكتبة الثقافية - دار الكاتب العربى.

٦- أحمد محمد عطية - أدب البحر - دار المعارف - سنة ١٩٨١م.
٧- الكسندر هجرتى كراب - علم الفولكلور - ترجمة رشدى صالح - دار الكاتب العربى - سنة ١٩٦٧م.
٨- د. السيد الجملى - السحر وتحضير الأرواح - دار أسامة للنشر والتوزيع - دمشق، د.ت.
٩- السيد عبد الحافظ عبد ربه - بحوث فى قصص القرآن - دار الكتاب اللبنانى - بيروت.
١٠- د. الطاهر أحمد مكى - ملحمة السِّيد - دراسة مقارنة - دار المعارف - القاهرة.
١١- د. أمين محمد بدوى - القصة فى الأدب الفارسى - دار النهضة العربية - بيروت - سنة ١٩٨١م.
١٢- د. حسين الحاج حسن - الأسطورة عند العرب فى الجاهلية - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - لبنان، سنة ١٩٨٨م.
١٣- راجى الأسمر - المعتقدات والخرافات الشعبية اللبنانية - مؤسسة جروس برس - لبنان.
١٤- رشدى صالح - الفنون الشعبية - المكتبة الثقافية.
١٥- رمزى نعناعة - كتاب الإسرائيليات.
١٦- د. سهام عبد الوهاب قريحه - الجوارى والشعر فى العصر العباسى الأول - دار الربيعان للنشر والتوزيع - الكويت.
١٧- د. شكرى عياد - البطل فى الأدب والأساطير.
١٨- د. شوقى ضيف.
* تاريخ الأدب العربى - العصر الإسلامى - دار المعارف، سنة ١٩٨٢م.
* تاريخ الأدب العربى - العصر العباسى الأول - سنة ١٩٨٢م.
* تاريخ الأدب العربى - العصر العباسى الثانى - سنة ١٩٨٢م.

* تاريخ الأدب العربى - عصر الدول والإمارات - سنة ١٩٨٣م.
١٩- شوقى عبد الحكيم - السير والملاحم الشعبية - دار الحداثة - بيروت، سنة ١٩٨٤م.
٢٠- د. صابر عبد الدايم - الأدب الصوفى - اتجاهاته وخصائصه - دار المعارف - ط٢ - سنة ١٩٨٤م.
٢١- د. صبرى حمادى، د. داود سلوم - القصص الشعبية العراقية - مركز التراث الشعبى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية - الدوحة - قطر - سنة ١٩٨٨م.
٢٢-صفوت كمال - الحكايات الشعبية الكويتية - ط١ - الكويت - سنة ١٩٨٦م.
٢٣- صفوت كمال - مدخل لدراسة الفولكلور الكويتى - الكويت.
٢٤- د. طه حسين - حديث الأربعاء - جـ١.
٢٥- د. عائشة عبد الرحمن - مقدمة فى المنهج - مطبعة الجبلاوى - القاهرة.
٢٦- د. عبد الحميد الطيب - الأحاجى السودانية - سلسلة الأساطير - مكتبة النشر بالخرطوم - سنة ١٩٥٥م.
٢٧- د. عبد الحميد يونس
* البنجاتنترا - ترجمة - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
* الأسطورة والفن الشعبى - المركز الثقافى - ط، سنة ١٩٨٠م.
* التراث الشعبى - دار المعارف - سلسلة كتابك.
* الحكاية الشعبية - المكتبة الثقافية - دار الكاتب العربى.
* الظاهر بيبرس فى الأدب الشعبى.
* الهلالية فى التاريخ والأدب الشعبى - مطبعة جامعة القاهرة، سنة ١٩٥٦م.
* دفاع عن الفولكلور - الهيئة المصرية العامة للكتاب - سنة ١٩٧٣م.

٢٨- عبد الرازق حميدة - قصص الحيوان فى الأدب العربى.
٢٩- د. عبد الكريم الجهيمان - أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب - دار أشبال العرب - ط٣ - الرياض، سنة ١٩٨٠م.
٣٠- على الحديدى - فن أدب الأطفال - الانجلو المصرية سنة ١٩٧٦.
٣١- د. عمر عبد الرحمن الساريسى - الحكاية الشعبية فى المجتمع الفلسطينى - سلسلة إحياء التراث الفلسطينى - دار الكرمل - الأردن - سنة ١٩٨٥م.
٣٢- غسان الحسن - الحكاية الخرافية فى ضفتى الأردن - دار الجيل للطباعة - دمشق - سنة ١٩٨٨م.
٣٣- د. غنيمى هلال - الأدب المقارن.
٣٤- فاروق خورشيد، د. محمود ذهنى - أضواء على السير الشعبية - منشورات اقرأ - بيروت، بدون تاريخ.
٣٥- فاروق خورشيد.
* عالم الأدب الشعبى العجيب - كتاب الهلال.
* فن كتابه السيرة الشعبية.
* فى الرواية العربية - عصر التجميع - دار الشروق - سنة ١٩٨٠م.
٣٦- د. فؤاد حسانين - قصصنا الشعبى - دار الفكر العربى - القاهرة، سنة ١٩٤٧م.
٣٧- فوزى العنتيل - عالم الحكايات الشعبية - دار المريخ للنشر - الرياض، سنة ١٩٨٣م.
٣٨- فون دير لاين - الحكاية الخرافية - ترجمة: د. نبيلة إبراهيم - بيروت - ط٢ - سنة ١٩٧٦م.
٣٩- د. قاسم عبده قاسم - بين الأدب والتاريخ - دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع - القاهرة، سنة ١٩٨٦م.

٤٠- د. قاسم عبده قاسم - د. أحمد إبراهيم الهوارى - الرواية التاريخية فى الأدب العربى الحديث - دار المعارف، سنة ١٩٧٩م.
٤١- كاظم سعد الدين - الحكاية الشعبية العراقية - دراسة ونصوص - دار الرشيد للنشر - السلسلة الفولكلورية - سنة ١٩٧٩م.
٤٢- كراتشكوفسكى - تاريخ الأدب الجغرافى - ترجمة د. صلاح الدين عثمان هاشم - القسم الأول - القاهرة ١٩٦١م.
٤٣- ك. ك. راثفين - الأسطورة - ترجمة صادق الخليلى - منشورات عويدات - ط١ - بيروت/ باريس، سنة ١٩٨١م.
٤٤- كمال النجمى - يوميات المغنين والجوارى - دار الهلال - القاهرة - سنة ١٩٨٦م.
٤٥- محسن يوسف - الظواهر القصصية عند العرب - دار المنارة - اللاذقية - سنة ١٩٨٩م.
٤٦- محمد أحمد جاد المولى وآخرون - قصص العرب - جـ٤.
٤٧- د. محمد طالب الدويك - القصص الشعبى فى قطر - مركز التراث الشعبى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية - سنة ١٩٨٤م.
٤٨- د. محمود ذهنى:
* الأدب الشعبى العربى - مفهومه ومضمونه - مطبوعات جامعة القاهرة - فرع الخرطوم - سنة ١٩٧٢م.
* تذوق الأدب - طرقه ووسائله - الأنجلو المصرية - بدون تاريخ.
* سيرة عنترة بين الأدب والتاريخ - دار المعارف - ١٩٧٩م.
٤٩- مجموعة من الباحثين - ندوة التخطيط للأدب الشعبى - مركز التراث الشعبى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية - الدوحة - سنة ١٩٨٤م.
٥٠- مجموعة من المؤلفين - قصة الحضارة - جـ٦ - المجلد الرابع.
٥١- مصطفى الشهابى - الجغرافيون العرب - القاهرة - سنة ١٩٦٢م.

٥٢- مصطفى صادق الرافعي - السحاب الأحمر - مطبعة الإستقامة - ط٨ - سنة ١٩٦٤م.
٥٣- د. نبيلة إبراهيم:
* أشكال التعبير فى الأدب الشعبى - دار المعارف - القاهرة - سنة ١٩٨١م.
* البطولة فى القصص الشعبى - دار المعارف - القاهرة.
٥٤- نزار الأسود - الحكايات الشعبية الشامية - دار الإيمان - ط١ - دمشق، سنة ١٩٨٨م.
٥٥- يسرى شاكر - حكايات من الفولكلور العربى - دار النشر المغربية - د.ت.

د- الدوريات والوثائق:

١- التراث الشعبى - بغداد - وزارة الإعلام - العدد ١٤، سنة ١٩٨٥م.
٢- الثقافة - العدد ٧١١ - أغسطس، ١٩٥٢م.
٣- الطليعة - العدد ٥ - السنة الخامسة - بغداد.
٤- الفنون الشعبية الأعداد
(٢) (١٩٦٥) - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة.
(٦) (١٩٦٨) - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة.
(٨) (١٩٦٩) - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة.
(٩) (١٩٦٩) - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة.
(١١) (١٩٦٩) - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة.
(١٨) (١٩٨٧) - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة.
(١٩) (١٩٨٧) - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة.
(٢١) (١٩٨٧) - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة.
(٢٤) (١٩٨٨) - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة.

(٢٧، ٢٨) (١٩٨٩) – الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة.
(٣٧) (١٩٩٢) – الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة.
٥- المأثورات الشعبية – الدوحة – مركز التراث الشعبى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية – العدد ١٩، ١٩٩٠م.
٦- منبر الإسلام – العدد ٣ – السنة ٢٨ مايو ١٩٧٠م، القاهرة.
٧- عالم الفكر – العدد ٢٤ سنه ١٩٩٥ – الكويت.

هـ- الدراسات الجامعية:

١- د. مرسى السيد مرسى الصباغ:
* الموال فى مركز الزقازيق – دراسة ميدانية وفنية – اطروحة ماجستير – جامعة الزقازيق ج. م. ع – سنة ١٩٨٧م.
* القصة والحكاية والحدوتة الشعبية فى محافظة الشرقية – دراسة ميدانية وفنية – اطروحة دكتوراة – جامعة الزقازيق – ج. م. ع – سنة ١٩٩١م.

الفهـــرس



.. هذا الكتاب :

بين يدى القراء ، تضيف (دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر) إلى مكتبة الأدب الشعبى العربى هذا العنوان الجديد (القصص الشعبى العربى) والكتاب يعد فاتحة اصدارات الدار والمؤلف فى ذلك الفرع المتجدد من فروع المعرفة والموروث الشعبى .

والدكتور/ مرسى الصباغ بكتابه الأول يستهل رحلة الكتابة ازاء جمهور الأدب المتذوق لجديد الموروث القصصى ، ورصيده أطروحة أكاديمية فيها من الجمع القصصى للحكايات الشعبية ما يمثل المجهود البحثى لفريق بأكمله .

أما هذا العنوان فهو باكورة إنتاجه ومران قلمه الواعد فى ميدان الأدبيات الشعبية ، والمأمول أن يتابع المؤلف نشر نتاجه فى عطاء ودقة ، وعلى وجه الخصوص نشر النصوص التى جمعها مع تعليق نقدى يجاوز به ما كتبه فى رسالته للدكتوراه .

والله الموفق وعليه قصد السبيل .

.. د. أحمد زلط